

د. إبراهيم عوف

د. محمد مندور
بين أوهام الادعاء العريضة
وحقائق الواقع الصلبة
(ثلاث قضايا ساخنة)

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد فريد - القاهرة

د. إبراهيم عوض

د. محمد مندور

بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

(ثلاث قضايا ساخنة)

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ محمد فريد - القاهرة

المقدمة

بهذه معرفتي بكتابات د. محمد مندور النقدية أثناء مرحلة دراستي الجامعية ، وقد أعجبتني فيها الدفء والوضوح وساطة العبارة والبعد عن التحذلق والاهتمام بضرب الأمثلة لتقريب الفكرة وشرح جوانبها المختلفة . لكن لفت نظري في ذات الوقت أن صاحبها لا يشير إلى أى مصدر أو مرجع استفاد منه ، اللهم إلا فى كتاب « النقد المنهجى عند العرب » ، والسبب فى ذلك أنه كان فى الأصل رسالته التى حاز بها درجة الدكتورية . وكانت هذه الملاحظة وراء سؤال لم يعتم أن تبتش فى نفسى ، وهو : ما دور د. مندور فى هذه الكتب التى تنسب إليه ؟ وكان الجواب الذى افترضته هو أنه يلخص ما يقرؤه فى المراجع الفرنسية تلخيصاً سهلاً جذاباً يلم أطراف الموضوع بمهارة ويضعه بين يدي القارئ غنيمة باردة . ثم ظهر فى تلك الفترة فى سلسلة « كتاب الهلال » كتاب « عشرة أدباء يتحدثون » للأستاذ فؤاد دواره ، وفيه حوار مع طائفة من الكتاب المصريين منهم د. مندور . وقد انبهرت بما جاء فيه عما حققه مندور فى بحثه إلى السربون التى بدت لى آنذاك ، رغم عدم حصوله على الدكتوراه ، نصراً مبيناً . ثم كبرت واحتلمت على ذلك الأمر برمته فتبين لى أن المسألة لم تكن إلا دعابة زائفة أجيد حبكها ، فقد كانت تلك البعثة فشلاً ذريعاً ، لكن الرجل وحواريه استطاعوا أن يصوروا هذا الفشل بحيث يبدو وكأن صاحبه قد فتح عكاً وأنى بما لم يأت به الأوائل والأواخر . وهذا هو موضوع

الفصل الأول من الكتاب الذى بين يدى القارئ الكريم .

ثم أثيرت فى السنوات الأخيرة قضية اتهام مندور بسرقة كتابه « نماذج بشرية » ، وهو كتاب يعدّه هو وأنصاره إبداعاً لا نظير له ، فعكفت على المسألة أدرسها وأحصّتها ، وإذا بها تنجلي عن حقيقة شديدة المرارة ، وهى أنه قد سرقه فعلاً من الكاتب الفرنسى المعروف جان كالفيس . كذلك اكتشفت أنه قد سطا أيضاً على كتاب د. نعمان أحمد فؤاد عن المازنى كما قالت هى تلميحا فى مقدمة الطبعة الثانية من ذلك الكتاب . ويجد القارئ معالجة مفصلة لهاتين القضيتين فى الفصل الثانى من كتابنا هذا .

وكنت قد قرأت « مدام بوفارى » فى نصّها الفرنسى ، وبدا لى وأنا أقرؤها أن أقارن بينها وبين ترجمة د. مندور لها فبالنى كثرة أخطائه وشاعنها وتنوعها ما بين أخطاء لغوية وأخطاء فى الترجمة ، فوضعت دراسة بهذا الذى عثرت عليه بجدّها القارئ فى الفصل الثالث من الكتاب .

هذا ، وإنى لأرجو ألا أكون ظلمتُ الرجل . فقد استمعت بكتاباته زمناً رغم كل شيء . ولقد حرصت فى دراستى هذه على التنقيح والتحصيص والتوثيق ، والأمر بعد متروك للقراء وحكمهم . هذان الله جميعاً إلى سواء السبيل !

بعثة مندور بين الحقيقة والأوهام

تمثل بعثة مندور إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتورية حالة غريبة تحتاج إلى الدراسة والتفسير : فقد كان في المرحلة الجامعية طالباً متفوقاً بلغ من تفوقه أنه استطاع أن يدرس في كلتي الحقوق والآداب في نفس الوقت بل وأن تكون دراسته في هذه الأخيرة في قسمين مختلفين وليس في قسم واحد ، إذ كان يدرس الأدب العربي وعلم الاجتماع معاً ، وإن لم يحصل منها إلا على ليسانس اللغة العربية وآدابها نظراً إلى انقطاعه عن متابعة دراسته في قسم الاجتماع في السنة الرابعة بعد أن لم يعد بينه وبين الحصول على ليسانس هذا القسم إلا « فرقة كعب » كما يقولون ^(١) . وكان مستقبله واحداً بالإشراق الزاهر ، وبخاصة بعد أنه رشّحت الجامعة بمساعدة أستاذه الدكتور طه حسين لبعثة إلى فرنسا للدراسة في السربون من أجل الحصول على الدكتورية في الآداب في سنة ١٩٣٠ م . لكنه ما إن بدأ دراسته في فرنسا حتى فوجئنا بنتائج امتحانات تختلف تماماً عما كان يحصل عليه من درجات في مصر ، وكان مصيره الإخفاق المتكرر في معظم الامتحانات التي خاضها ، واضطربت الأمور بينه وبين إدارة البعثة في

(١) ومن ثم فلا صحة لما قاله فؤاد دويادة عن حصول مندور على الليسانس في هذه التخصصات الثلاثة جميعاً (انظر كتابه « محمد مندور » / الهيئة المصرية العامة للكتاب / سلسلة « نقاد الأدب » (العدد ١٧) / ١٩٩٦ م / ١١٥) .

باريس ، التي اتهمته بإغفال واجباته العلمية والخروج على النظام
والسفر خارج فرنسا دون تصريح منها بذلك . وكان مندور دائم الفرع
أثناء هذا كله إلى الدكتور طه ليتوسط له عند المسؤولين في مصر وفي
إدارة البعثة المصرية في باريس للمحورول بينه وبين الفصل . وفي النهاية
عاد مندور إلى مصر في سنة ١٩٣٩ م ، أى بعد أن قضى في البعثة تسع
سنوات كاملات ، دون أن يحرز درجة الدكتوراه^(١) ، وكل ما حصل
عليه هو شهادة الليسانس في بعض المواد اللغوية والأدبية ، وهي لا
تمثل إلا الشق الأول من البعثة المذكورة .

ومع هذا جميعه فإنه في الحوار الذي أجراه معه فؤاد دواردة في
الستينات (ونشره أولا في مجلة « الهجلة » ثم جمعه مع أشباهه من
حوارات في كتابه « عشرة أدباء يتحدثون ») يتكلم عن بعثته
السوربونيه بأسلوب يوحي بأنها مبعث فخر لما أحرزه فيها من شهادات
وما فتح من فتوح دراسية لم تنيسر لغيره ، حتى إننى ، وأنا طالب
بالجامعة ، كنت أقرأ ذلك الحوار في حالة انبهار كامل ، وبخاصة
كلامه عن تحول عقله من التفكير باللغة العربية إلى التفكير باللغة

(١) يدعى أمين بكير أن مندور قد حصل من كلية حقوق باريس على
الدكتوراه في الاقتصاد السياسي وتشريع المالى (انظر كتابه « قضايا الفن
والإنسان في حياة محمد مندور » / مكتبة الأسرة / سلسلة « كتاب
الشباب » / ١٩٩٨ م / ١٠) . ولا أغرى من أين أتى بهذا الادعاء
العجيب الذى تحول فيه الدبلوم إلى دكتوراه . وسوف يأتي ذكر هذا
الدبلوم بعد قليل .

الفرنسية ، التي تتميز (كما يقول) بالدقة والتحديد الصارم ، وكذلك حديثه عن الشهادات التي ذكر أنه قد حصل عليها ثم انضح بعد ذلك أنها في أغلبها شهادات خاصة بمواد مفردة لا بمجموعة من المواد كما نفهم نحن الشهادات هنا في مصر .

وسيكون سيلى في هذا الفصل هو التعرف إلى ما قاله د. مندور في حوارهِ مع الأستاذ دارة ثم المقارنة بينه وبين ما جاء في رسائله إلى الدكتور طه حسين في أثناء فترة البعثة ، تلك الرسائل التي نشر نبيل فرج عدداً منها كبيراً في مجلة « القاهرة » بدءاً من ديسمبر ١٩٩٣م ثم عاد فضمها إلى مثيلاتها من عميد الأدب العربي أوله وأصدرها في كتاب بعنوان « طه حسين ومعاصروه » . وقد احتلت خطابات مندور إلى طه حسين ، بما فيها خطاباته أثناء مرحلة الليسانس ، حوالى نصف مساحة الكتاب وحدها ، على حين شغلت الخطابات الأخرى كلها النصف الثاني من الكتاب . وتتسم رسائل مندور أثناء فترة البعثة بأنها مفعمة بالحرارة التي تشتد درجاتها حتى تصبح لهيباً محرقاً في كثير من الأحيان ، كما أن فيها قدراً كبيراً من القلق والسخط والتذمر الذي يبلغ في بعض الظروف درجة التلويح بالانتحار . وسوف أستمين في خلال هذا بما كتبه مندور في بعض كتبه الأخرى وما كتبه عنه أصدقائه وحواروه .

يقول الدكتور مندور في الحوار السالف الذكر إن الهدف من بعثته كان الحصول على ليسانس من السربون في الآداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن مع حضور محاضرات المشرقيين وتحضير دكتوراه في الأدب العربي مع أحدهم ، وأنه قد نفذ الجزء الأول في تسع سنوات من ١٩٣٠م إلى ١٩٣٩م ، ولكنه لم يقدم الدكتوراه لتجسُّع نذر الحرب العالمية الثانية في الأفق آنذاك ، إذ فضل (كما يقول) العودة إلى مصر حيث كتبها وقدمها في الجامعة المصرية ، وإن كان قد حصل من السربون أيضا على دبلوم في القانون والاقتصاد السياسي والتشريع المالي^(١).

أما عن باريس فيقول إنها مدينة بالغة الخطورة ، إذ فيها الجِدَّ الصارم والمغريات المهلكة جميعا ، وأنه قد أخذ من كلا الأمرين بنصيب. كما أكد أهمية المغريات الباريسية في حياته وشخصيته العقلية والعاطفية بسبب تمكينها إياه من الاختلاط بدُهماء الفن والأدب في مونترياس والحي اللاتيني والكياريهات حيث تلقائية الأحاديث والتبسط الصادق في الاعترافات الذاتية في ساعات الحظ . وكثيرا ما كانت نقوده تنفد قبل حلول آخر الشهر كما ذكرنا ، وعندئذ كان يكتفى بأكلة شعبية من أحد المسامط أو ببعض القهوة والخبز^(٢).

(١) فؤاد دوازة / عشرة أدباء يتحدثون / كتاب الهلال (العدد ١٧٢) /

برنيه ١٩٦٥م / ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) المرجع السابق / ١٧٩ - ١٨٠ .

وبخبرنا مندور أيضا أنه كان حريصاً كل الحرص على عدم الاختلاط هناك بأمثاله من المصريين حتى يكون حديثه كله طوال الوقت بالفرنسية ما أمكن ، وهو ما كانت ثمرته أن تحوّل (كما يقص علينا) من التفكير باللغة العربية إلى التفكير بالفرنسية ، التي تعلم منها الدقة والتحديد وصرامة التعبير^(١) . ومع هذا فإن نعمان عاشور ، وكان من تلامذة مندور المحبين له والمتعلقين به أشد التعلق ، يقول واصفاً نطق أستاذه للفرنسية والإنجليزية : « كنت دائماً وفي هذه السنوات الباكرة التي عرفت فيها (يقصد أيام كان يدرّس لهم ، في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، مادة الترجمة من الإنجليزية في بداية الأربعينات) أستغرب أن يكون قد عاش في لندن وباريس وهو على ما هو عليه : ريفي كأنه لم يخرج من القرية التي وُلد فيها بالشرقية ، وكنت أستغرب حين أسمعه يتحدث بالإنجليزية أو الفرنسية لأنه كان ينطقها بلهجة فلاح أصيل ، وكأنه تعلمها في كُتّاب القرية ولم يدرسها في أكسفورد أو السربون^(٢) . وأرجح الحسبان أن الدكتور مندور كان يغالي في الحديث عن نفسه وإنجازاته في هذه البعثة ، وإلا

(١) السابق / ١٨٠ .

(٢) نعمان عاشور / مع الرواد / مكتبة الأسرة / ١٩٩٦م / ٦٤ . على أن إشارة المؤلف إلى « دراسة مندور للإنجليزية في أكسفورد غير صحيحة ، فهو لم يذهب إلى تلك الجامعة قط . وقد كرّر نعمان عاشور الكلام =

فكيف يكون هذا مستواه في مجرد النطق بالفرنسية رغم حرصه المطلق على الانغمار في المجتمع الفرنسي والابتعاد بكل قواه عن الخلطة بزملائه المصريين رغبة في إثبات الفرنسية تفكيراً ونطقاً كما يقول ؟

ومن بين ما يذكره مندور في حوارهِ مع فؤاد دواره سفرهِ إلى أثينا بعد فراغه من دراسة اليونانية القديمة ، ذلك السفر الذي أثار زوبعة بينه وبين مدير البعثة التعليمية المصرية في باريس ، الأستاذ الدهواني . ومندور ، في هذا الحديث ، يقر بأن مدير البعثة قد اعترض على هذه الرحلة ، إلا أنه لم يعبأ بذلك الاعتراض ومضى في خطته قُدماً فسافر إلى بلاد اليونان . وهو يؤكد أن هذه الرحلة قد ثبتت في ذهنه كل ما كان يعرفه من التراث اليوناني ، وذلك من خلال زيارته لجزر بحر إيجة وبقايا بعض المعابد ، وأنها لم تكن نزوة سياحية كما ظن مدير البعثة ، الذي فوجئ مندور ، بعد عودته إلى باريس ، بأنه قد أوقف مرتبه وكتب إلى الجامعة طالباً فصله من البعثة ، وأنه لولا تدخل مكرم عبيد ،

= عن رغبة مندور التي تتلظى تماماً مع قصائده سبع سنوات كاملة في باريس ولندن ، كما يقول ، في مقالهِ « ذكريات عن مندور » (مجلة « أدب ونقد » العدد ١٢) / أبريل ومايو ١٩٨٥م / ٨٩ . وبماثل تحدث رجاء النقاش عن غلبة الطبيعة الريفية على شخصية مندور ، وإن لم يتعرض لطريقة نطقهِ باللغة الفرنسية (انظر كتابهِ « أدباء معاصرون » / كتاب الهلال (العدد ٢٤١) / فبراير ١٩٧١م / ١٠٧) .

الذى تصادف مروره بباريس فى ذلك الوقت ، لما استطاع إعادة صرف المرتب كما أن مدير الجامعة (أحمد لطفى السيد) لم يوافق على فصله ، وذلك بفصل الدكتور طه ، الذى كان دائم العطف عليه والوقوف إلى جواره فى كل محنة مرت به هناك^(١) .

ويصيف صدور أنه بعد هذا قد عدل عن دراسة النحو المقارن لللغات القديمة مفصلاً دراسة أصوات اللغة دراسة محملية فى معهد باريس الخاص بذلك ، حيث كتب بحثاً بالفرنسية عن موسيقى الشعر العربى وأوزانه بواسطة آلة الكمبيوتر التى تسجل الأصوات الحساسة وذبت بها^(٢) .

وبعد عودة الدكتور مدور إلى مصر كانت تنتظره بعض المناصب فى عمله بكلية الأدب ، التى لم يرحب أى من أقسامها المختلفة به بين أعضاء هيئة تدريسه ، إلى أن استطاع د. أحمد أمين أن يدبر له عدداً من الساعات يدرس فيها الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، ثم دبر له د طه حبيب فى السنة التالية يصح ساعات أخرى للترجمة من العربية إلى العربية كما درس فى المعهد العالى للصحافة مادتي الترجمة من العربية واللغة العربية وآدابها . وفى عام ١٩٤٢ م عين

(١) هزاد دوز / عبره أدباء بضمير / ١٨٣ - ١٨٦

(٢) المرجع السابق / ١٨٦

فى جامعة الإسكندرية الوليدة دون دكتوراه . وفى تلك الأثناء سجل مع د أحمد أمين رسالته فى النقد العربى القديم التى ظهرت بعد ذلك فى كتاب بعنوان « النقد المهجى عند العرب » التى رفض طه حسين الاشتراك فى مناقشتها سنة ١٩٤٣م سحطا منه على صاحبها ليلواذه بأحمد أمين بدلا منه . كذلك رفض الدكتور طه ، فيما يخبرنا مدور أيضا ، أن يرقيه بعد حصوله على الدكتوراه إلى درجة مدرس « أ » من الدرجة الرابعة رفضا حاداً دفعه إلى الاستقالة من الجامعة والعمل بصحيفة « المصرى » لصاحبها محمود أبو الفتح ^(١) .

هذا ما جاء فى الحوار الذى دار بينه وبين الأستاذ فؤاد دودة ، فعادا نقول الحطابات التى كان يرسلها إلى الدكتور طه حسين ؟

أول ما جاء فى تلك الحطابات مما يتعلق بموضوعنا هو قول مندور ، فى خطاب له بتاريخ أول إبريل ١٩٣١م ، إنه أرسل إلى مجلة الجامعة بحثا له كان قد قدمه لأحد أساتذته بالسربون وبال عليه درجة أرقى من درجة زملائه الفرسيين بعد أن سَمِعَهُ وأصاب إليه بعض التوضيحات ^(٢) ولكن للأسف لم يشأ مدور بنىء عن موضوع

(١) ثنائى / ١٨٧ - ١٩٢ .

(٢) انظر سبل فرج / طه حسين ومعاصروه / كتاب الهلال (العدد

٢٥١) / مايو ١٩٩٤م / ٩٨ - ٩٩ .

هذا البحث ، كما أنى لا أذكر أنه عرض له فى أى من كتبه الأخرى
التي قرأتها له . وأغلب الظن أنه لا علاقة لهذا البحث بالأدب العربى ،
لأنه كان لا يزال آنفد فى مرحلة الليسانس يدرس الأدب الفرنسى
واللغات القديمة . وأغلب الظن أيضاً أن هذا البحث كان فى الأدب
الفرنسى ، إذ لا أظنه كان قادراً على كتابة بحث فى ذلك الوقت
المبكر عن البيوانية أو اللاتينية ، فقد كان لا يزال ينغل فيهما بخطواته
الأولى . كذلك لا أظن إلا أن هذا البحث كان بالفرنسية ، وهو
ما يعنى أن مقدرة على التمييز بهذه اللغة كانت كبيرة مادام يقول إنه
حصل به على درجة لم يحرزها أى من الطلبة العرسيين . لكن هذا
يشير سؤالا فى غاية الأهمية ، ألا وهو : إذا كانت فرنسية مدور فى أول
سنة له بمرسا قد بلغت هذه الدرجة ، فكيف معلل فشله المتكرر فى
معظم الامتحانات التي دخلها هاك ، وهى كلها بتلك اللغة ؟ هذا أمر
مثير ، نرى أكان مدور يبالغ فى الشاء على لفته ويحسه ؟ إن ذلك عبر
مستبعد كما سوف نرى من خلال المقارنة بين ما ذكره عن بعض
الأشور فى رسائله إلى الدكتور طه وما أدلى به للأستاذ دوائر فى الحوار
الذى أجراه معه

وفى هذا الخطاب أيضاً يشير مدور إلى أنه يسيل الاستعداد
لامتحان بوبه التالى الخاص بالأدب الفرنسى وامتحان بوقمير الخاص

بالتلائية^(١) عمادا كانت نتيجة هذين الامتحانين ؟ فأما أولهما فقد أحقق مدور فيه ، وهذا مذكور في خطابه المؤرخ في ٣ سبتمبر ١٩٣١ م ، الذى يتحدث فيه عن « صدمة الامتحان » وأثرها المؤلم المنيب فى نفسه ، والذى يحاول فيه أيضاً أن يدفع عن نفسه شبهة عدم الرعة فى مقابلة الدكتور طه عد وصوله إلى فرنسا ، إذ يدور أن الدكتور طه قد قرّعه على ذلك على طريقته فى لحن القول^(٢). وأما الامتحان الثانى فلا ذكر له فى الخطابات التى بين أيدينا والتى تحتلها فجوة كبيرة تنصل بين الخطاب السابق والخطاب الذى تلاه ، وهو بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٥ م .

ومى هذا الخطاب الأخير بحير مدور أستاذه بأنه يستعد للمرة الثانية لامتحان الدراسات البوذية ، التى يقول إن إخوانه يشكون من صعوبتها ، ركب ، على العكس منهم ، يعتقد كل الاعتقاد أن النجاح فيها ليس عبيراً بشرط أن يقصر الطالب جهوده على ما جاء فى المقرر لا يعمده . ثم يضيف قائلاً إنه لا يستطيع للأسف أن يهيج بهج «صلة» انفرسجين أنذهى لا يعرفون شيئاً خارج حدود الكتب الجامعية ، فهو يعانى من العجز المطلق عن الوقوف عند الجراء درب

(١) المرجع السابق / ٩٩

(٢) السابق / ١٠١ - ١٠٣

الإلمام بالكل ، ومن ثم فهو يقرأ كل ما تصل إليه يده من الكتب عن الأدب اليوناني في الوقت الذي لا يطالع فيه من النصوص اليونانية نفسها إلا القليل . وفي الخطاب أيضا حديث عن اجتياز شهادة الأدب الفرسى ولعته واطلاعه الواسع على ما كُتِبَ في ذلك الأدب وفي حصارة العرسبي . ثم ينتقل إلى الكلام على اللغة اللاتينية ، التي يقول إنه قد وصل فيها إلى درجة لا بأس بها ، ويتساءل . هل من الممكن أن يكتفى بشهادة "les antiquités Latines" بدلا من "lex études Latines" * وواضح من كلامه أن الأولى أسهل ، وإن ذكر أن الثانية أنفع له . ثم يعقب قائلا إنه لم يبق بعد ذلك إلا اجتياز الامتحان ، وهو (في نظره ونظر الدكتور طه كما يقول) « مسألة ثانوية » . ولما جاء في هذا الخطاب أيضا قوله إنه قرأ كل ما كتبه الإغريق وانه عارم على أن يقضى العام القادم في قراءة ما كتبه الرومان أيضا بفكر الطريقة التي جرى عليها في تثقيف نفسه في الأدب الإغريقي ، أي طريق قراءة الكتب العرسبية عن أدب الرومان والاحتراء بقراءة بعض النصوص المكتوبة باللاتينية نفسها ^(١)

ولي تعليق صغير على قوله إنه قرأ كل ما كتبه الإغريق ، إذ إن في هذا القول مبالغة حد هائلة ، إلا إذا كان قصده أنه قرأ كل ما

وقعت عليه يده مما تُرجم من تراثهم الأدبي أو العكس مثلاً إلى اللغة الفرنسية . أما أن يكون قد قرأ كل هذا التراث فعلاً كتاباً كتاباً كما تقول عبارته بحتهى الوضوح ، فهذا لا أدري كيف يكون ، وإلا كان تراث الإغريق من الهزال بمكان .

وهو يكرر القول بأنه ، بعد كل هذا التأخير ، قد حصل على شهادة فى الأدب العرسى ومثلها فى فقه اللغة العرسية ، وأنه بعد يومين سيتقدم لامتحان الدراسات اليونانية ، وإن لم يوفق فسوف يتقدم للامتحان فى العام القادم للحصول على بعض الشهادات البديلة السهلة وهذه هى عبارته التى ينسحبها إلى مجاحه فى امتحان الأدب العرسى واللغة الفرنسية ٥٠ حصلت إلى الآن ، مع الأسف الشديد لتأخرى من الساحة المدرسية ولا أقول : من الساحة العلمية ، على شهادتين : ١- الأدب العرسى ، ٢- فقه اللغة العرسية ٥ (١) .

ومن الواضح أنه لم ينجح فى امتحان الشهادة الخاصة بالأدب العرسى ولعنه إلا بعد مرور أربعة أعوام ، ومع هذا فإنه يقول لمؤاد دواره إنه قد نجح ٥ بما يشبه المعجزة فى سبائس الأدب العرسى التحريرى بعد عام واحد ٥ (٢) . ولست فى احقيقة أدري كيف يكون

(١) السابق / ١٠٨ - ١٠٢ .

(٢) عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٥

ذلك ، وهذه خطاباته لأستاذه طه حسين تقول إنه فشل في أول امتحان له بعد مرور عام من التحاقه بالسربون ، وإنه لم يجتز ذلك الامتحان إلا بعد انصرام أربعة أعوام ؟ ومع هذا لا يكتفى فؤاد فتدبيل بالقول بأن مسدور نجح بعد سنة واحدة في امتحان الأدب الفرنسي (التحريري) بل يريد فيقول إنه أصبح « يجيد الفرنسية تماما »^(١) . هو حكم حماسي ، فإن مسدور في خطاباته إلى الدكتور طه يقع في أخطاء فاحشة كثيرة في لته الأم ، فكيف يقال هكذا بمنتهى البساطة إنه أصبح يجيد الفرنسية تماما ، وهي اللغة الغريبة عنه ؟ وإلى جانب هذا فإن ترجمته لرواية فلوير « مذام بوقاري » ، كما سيتضح من الفصل الحاضر بها في هذه الدراسة ، تبين بأجلى بيان أنه لم يكن « يجيد الفرنسية تماما » .

وفي آخر الخطاب المذكور يتحدث مسدور عن سفره إلى اليونان وتعليقه هو ورميله الفرنسي الذي كان يصحبه في تلك الرحلة على مصر لمدة ستة أيام ، ذاكراً أنه بعد عودته قد أحضر بذلك الديوانى بك ، الذى أذهمه أن المسألة ليست هينة كما يظن ، ثم يطلب من الدكتور طه حسين أن يتدارك الأمر إذا دعت الحاجة إلى تدخله^(٢)

(١) انظر كتابه « محمد مسدور شيخ النقاد » / دار المد العربى / ٣٥

(٢) تبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / ١٦٥ .

وقد وصلتته من أستاذته طه حسين بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٦م، بسبب سفره مشابه إلى إيطاليا ، رسالة تقريرية يتهمه فيها بالتقصير والتعريض وعدم الصراحة والاتساع في الحيلة ، ويبدى شكه في أن يكون قد بدل في دراسته الجهد المطلوب ، وإن أحسن الظن في ذات الوقت بملكاته الطبيعية . وقد أفرغت مدور هذه الرسالة مرد عليها محاولاً أن يبرل ما يمس أستاذته تجاهه مؤكداً أنه يستفزع كل مجهوداته في خدمة الوطن وفي بناء مستقبله وأنه لا يعمل على إطالة بقائه في أوروبا طلباً للثروة أو رغبة الحياة

وفي ردّه يؤكد مدور أيضاً أنه لا يفهم كيف أن السفر خارج فرنسا أنباء البعثة يُعدّ خروجاً على القانون ، وأنه على كل حال قد أخبر مدير البعثة بحرمه على السفر قبل القيام به وأوضح له أن عاقبته منه هي عناية علمية لا ترفهية . ثم ذكر أن سرّ ضيق الأستاذ الديباسبى به راجع في الحقيقة إلى إحباطه في الامتحان ، وأصابه أن يهب الامتحان نهياً ، كما هو مطلوب منه ، هو أمر فوق طاقة البشر

ولا يمر اثنا عشر يوماً إلا ونجدته يكتب رسالة أخرى إلى الدكتور طه يحبره فيها بأنه قد تسلّم خطاباً من أهله يتخصّص بأفصله من البعثة ونالهم والده بسبب ذلك بل وشكّره له . بعد أن اطلع على قرّر حصره

مدير البعثة بأنني لا أراغب على عملي ولم أتر امتحاناتي^(١) وأن لي موارد رزق ضخمة وأني غير حاجة للبعثة وأني أنقل في بلاد لا يعدمها . ثم يستعطف أستاذه بأن يهب لنجدته وإيقاد مستقبله وحياته متعللاً بأن دراسته حملها ثقل ، ومعتراً على حرته الشديد لأنه بعد مضي سنة أعوام من حياته في فرنسا ودون الوقت الذي يستطيع جني ثمرة ثمره فيه يجد نفسه وقد حبل بينه وبين ذلك ومخططت آماله وفي نهاية الرسالة يلجأ لأستاذه بأنه عارم ، لا على ترك مكانه في البعثة فقط لم هو أحق منه بمثلته ، بل على ترك مكانه في الحياة أبصاً يقول هذا وهو يكي أشد البكاء كما ذكر في آخر مخطوط الرسالة^(٢).

أما الخطاب التالي لهذا ، وهو محرر بعده بخمسة أيام ليس إلا ، فقد اختصني به لتلويح مدور بالانتحار وحل محله كلام عن بدء عودة الهدوء إلى نفسه وانصرافه التام إلى الدراسة وفيه أيضاً إشارة إلى أنه قد

(١) يقصد « لم ألتحق في الامتحان » ، وهي ترجمة حرة للمعارة العربية " passer les examens " وقد درج الكتاب على أن يترجموا هذا التعبير بقولهم « اجتاز الامتحان بنجاح » ، أما « لم أتر امتحاناتي » فهي « رغم صحبها ، لا تحلو من عربة » ، ولا أقول ركابكة وقد كثرها مدور كثيراً في رسائله إلى الدكتور طه

(٢) مبل فرج / طه حسين ومعاشره / ١٢٠ - ١٢٢ .

وصله خطاب من ابن عمه يدعوه فيه إلى سيان الماصى وطى صمخته
التي يقول له إنه لا يريد البش فيها لأن كليهما يعلم ما تحتويه وقد
أثار هذا التلميح مدور إثارة شديدة جعلته يكاد يُجرّ جنوباً على حد
تعبيره ورغم أسا لا يدري ، من حديث مدور عن هذا الخطاب ،
طبيعة التلميح الذى يتعمده ، فإن فى تعقبه عليه ما يفيد أن الأمر
يتصل بعلاقته مع النساء ، إذ سمعه يدافع عن عفته وطهارة نفسه
ويؤكد أنه لم يعرف إلا فتاتين رميلتين له : إحداهما ألمانية كانت تريد
الرواح منه ولكنه لم يوافق ، والثانية عرسية كان يرغب فى الاقتران بها
لكس أهلها رفضوا أن يزوجوها بشاباً عربياً عن بلادها ويدين يدين
عمر دينا ، ومع ذلك فعندما كتبوا إلى أبيه ليوسطوه فى ثبته عن حرمة
آثروا على طهارة سلوكه كما أكد لأستاده أيضاً أنه لا يعرف الحمر
ولا الفخار بل يسمر معها بغورا طيبا ، فضلا عن أنه شاب جاد
طموح كثير الهموم دائم العوس ، فلا محل فى نفسه لهذه الصعائر
كما يقول وراد على ذلك أنه بطبيعته مدحرج ، ومن : فهو لا يشكو
من أية مشكلة فيما يتعلق بأموال المال والمزئذ حتى إلى الأستاذ الديوانى
يظن أنه عسى لا حاجة به إلى الفتنة^(١).

هذا ما قاله مدور لأستاده الدكتور طه حسين فى خطابه السالف

الدكر ، فصاعدا عما جاء فى حوارى مع فؤاد دوارى ؟ لقد ذكر أنه قام بهذه الرحلة سنة ١٩٣٦م بعد أن فرغ من دراسة اليونانية القديمة وآدابها^(١) ، وهو ما يقهّم به أنه قد نجح فى ذلك ، على حين أنه قد ذكر لندكتور طه أن حق مدير البعثة عليه إنما يرجع إلى رسوبه فى الامتحان ، فكيف موفق بين الأمرين ؟ أصف إلى هذا أن كلامه لندكتور طه عن تلك الرحلة وعصب مدير البعثة عليه بسببها قد ورد (كما رأينا) فى حانمة خطابه بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٥م بعد توقيعه ، بينما يقول هو لفؤاد دوارى إنه قد عمل هذه الرحلة فى ١٩٣٦م ، وهذا ما يحتاج أيضا إلى توفيق !

كذلك فإنه يقول لأستاذه إنه عندما عاد من الرحلة ذهب إلى الأستاذ الديبوى واعتذر له عن عدم استثنائه قبل الذهاب إلى مصر من بلاد اليونان ، وأوضح له أنه لم يكن لديه بية فى أن يعرج من هناك على أرض الوطن ، بل هى مجرد فكرة حطرت له هو وزميله فجأة وهما فى اليونان . وهو ما يعنى أن المشكلة لم تكن تركّ فرنسا بل مجرد لسم إلى مصر . أما فى حوارى مع الأستاذ دوارى فيقول إن مدير البعثة لم يوافق على السفر إلى بلاد اليونان أصلا وأنه رغم ذلك لم يأبه

(١) انظر فؤاد دوارى / عهد : أدباء يتحدثون / ١٨٣ *

بهذا الاعتراض ومضى قدما مع حطته في الذهاب إلى هناك ^(١)
ومضى هذا أنه لم يعارض الدكتور طه بحقيقة الأمر تعصيلا مكتفيا
بتصوره من الراوية التي لا تدينه .

وبالمساسة فليس في حديثه مع الأستاذ دوائر شيء ذو بال عن
الآثار التي ذكر أنه شاهدها في اليونان ، إذ كل ما قاله في هذا الصدد
هو أنه وجد حريرة نيلوس معطاة بينايا المعابد القديمة ومع هذا فإنه
يفسر في حرارة إلى الادعاء بأنه في وحدة هذه الحريرة ووسط أنقاضها
قد نشرب هو وزميله الروح الهلينة كلها ، وهي روح تمتاز بالصفاء
وهذوء القلب وحرارة الفكر وانفعاله ، لأن اليوناني القديم كان يحس
بعقله ويدرك بقلبه ، ففى عقله حرارة العاطفة ، وفى قلبه ضوء
العقل ^(٢) وهذا نص كلامه بالتحريص ولا أظن عاقلا يمكن أن
يأخذ هذه الدعوى مأخذ الجد فليس من المستطاع نشرب روح
حصارة ما من مجرد رؤية بعض الأشخاص التي خلقتها ، ولا فليحرم
أحد كيف يمكن أن توحى أنصار بعض أسعاند الإغريقية بأن الروح
الهلينة تمتاز بالصفاء وهذوء النفس وحرارة الفكر وبعاله إلخ *

ومما يحتاج إلى توضيح هنا أن مندور في حديثه إلى الدكتور طه

(١) مصر المرجع والعدد

(٢) المرجع السابق ١ - ١٨٢

حسب ، يؤكد تأكيداً قريبا عفته ومطهارة نفسه مبدئاً آله من تلميحات ابن عمه في هذا الصدد ، سيما في حديثه إلى فؤاد دواردة راء : يذكر معريات باريس انهلكة ، باعتزاز شديد مؤكداً أنه قد أخذ منها بصيب وأنها قد أعادته كثيراً من الساحة العاطفية والثقافية ، إذ مكنته من الاحتلاط بدهماء الفن والأدب في موبسراس والحي اللاتيني وفي الكباريهات (أو : عنب الليل) كما سماها (حيث الأحداث التفتائية والاعتزاف الصادقة في ساعات الحظ ولمس نفوس البشر عن قرب عازبة صريحة غير متعفة ولا متوارية على حد تعبيره ^(١) .

(١) السابق ، ١٧٩ وسبق يعود مدور هيعترف تلميحا للدكتور طه في خطاب لاحق أنه قد عرف في باريس : لده الحواس : إيماناً منه أن «مناومة مصيعة» غير حرة أمر قد يصير أكثر من أن يجمع ، وأن ضيق صدره وكثرة حزنه قبل ذلك يعبر سبب إيماناً كان مرجعه إلى ما أكرم نفسه به من عفة معرطة في مصر (سبيل فرج / طه حسين ومعاصره / ١٩١) وإذا كان مشي ، بالشئ ، يذكر إيماناً مشيرها إلى ما قاله طبيب بهائي مصري قابل محمد لطفي حمزة في ليون عندما ذهب للحصول على الدكتوراة في الطب - من جامعتها ، إذ أخذ يرتب له الرديلة بشبهة أنها تقيه من بعض داء الصبية مما جعل حمزة يصعبه به : البهائي المسمون في الأرض ومن أسماء : (انظر كتابي : كتاب من جبل المصانفة - د محمد لطفي حمزة - قراءة في فكره الإسلامي : عالم الكتب / ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م / ٥٢ / هامش ٢ ويمكن الاطلاع على النسخة كاملة في كتاب محمد لطفي حمزة : تذكارات الصبا - ذكرى ١٩ مارس / عالم الكتب / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م / ٣٦ - ٣٧)

وبالمثل وراء في خطابه إلى طه حسين يشير إلى ادخاره وحسن تديره في أمور المال ، أما مع فؤاد دواره فيقول إنه كان يحب أحياء باريس كما كان يفعل جاقوش بطل رواية هوجو « البؤساء » (ذلك الصبي البوهيمي المتشرد الذي لا يأبه بشيء) ، وأنه عندما تفقدته القود في أواخر الشهر كان يلجأ إلى بعض المطاعم الشعبية الرحبة التي تشبه مساكن القاهرة ، بل كان في كثير من الأحيان يكتفى ببعض الكرواسان مع كوب من القهوة باللبس ^(١) وليس في هذا الأسلوب المعيشي ، كما هو واضح ، ما يسم عن قدرة على الادخار أو ميل إليه أو حتى تفكير فيه .

ويتدخل طه حسين كالمادة لمصلحة سدور وبماد تقييده في البعثة من جديد كما جاء في خطابه إلى أستاذه في ١٢ سبتمبر ١٩٣٦ م. وفي هذا الخطاب نسمعه يمد بكل قوة وثقة بالجراح في الامتحان المقبل مؤكداً أنه لا يقل في شيء عن زملائه العرسيين الذين ينجحون في امتحاناتهم (أو على حد تعبيره « الذين يعرون مثل تلك الامتحانات ») ، بل يريد عنهم بصوحاً وقدر ، على التحصيل ثم يصيب قائلاً : « إن السقوط ومعاودة الكرة مراراً ، مراراً لا يمكن إلا أن يعود على بالخير ويريد بصوحاً وشئاً مما أدرس ، وأنه من الأفضل

(١) عشرة أدهاء يتحدث - ١٩٠٠

لى ألف مرة أن أمرَ بعد عدة محاولات وأنا ثابت القدم من أن أمرَ بالصدفة والاتفاق^(١) ، وهى حجة عجيبة تملس الرسوب فى مسطرة مصحكة ، وإلا فمن الممكن الرد على ذلك بالسؤال التالى ولماذا يهين أن توصف القصة على هذا النحو وكأنه ليس أمام الطالب إلا أن يرسل مرارا قبل أن يتعلم جيدا ، أو أن ينجح من أول مرة مصادفة واتفاقا* ترى ألا يمكن اجتماع السجاح مع الدراسة الجيدة والنشيط المخلص ؟ أحسب أن الثقارئ الآن قد أبصر جيدا المزلق الحطير الذى يريد التلميذ أن يمسح أستاذة إليه !

على أنه لا يمر إلا شهران وأسرع تقريبا حتى يكتب التلميذ لأستاذة بأنه قد أحسن فى امتحان فقه اللغات . وهو لا يكميه أن وعوده القوية الوثيقة قد تحرت فى الهواء ، بل يريد فيؤكد بملء فمه أنه غير أسف على ذلك الإحفاق ، بل هو فى الحقيقة يفصله لأن تحضيره لعقده اللغتين اللاتينية والعربية القديمة لم يكن كما يحب^(٢)

وعشا يحاول الإنسان أن يعرف لماذا كان الأمر كذلك بعد أن وعد مدور الدكتور طه بأنه لن يرى منه بعد ذلك إلا حيرا وأنه سيطلب رقبته بسجاجة الوشيت ويمضى مدور فيتخرج بقلة المعاجم فى يديه ويطلب الدكتور طه ، يتدخل لدى السعثة لتعطيه ألمان القاموس

(١) سيل مرج / طه حسين ومعاذروه / ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) ادحه اللغات / ١٣٣ - ١٣٤ .

الفلاسي والقاموس الملايى والقاموس الترتائى .. إلخ^(١)، وكأنه لا توجد مكتبات فى الجامعة يستطيع استخدام ما فيها من معاجم ودوائر معارف ، وكأنه أيضا لم تكفه السنوات الأربع كى يقطع شوطا فى هذا المقرر يعميه على المصنّى فى دراسته فى يمر . وفى الخطاب أيضا وصف لحالته المعية المتأرجحة : بين حماسة تقرب من الجون إلى بأس وألم يتركى بلا حراك كالسُحْمَى عليه^(٢) هذا ما يقوله مندور عن نفسه بعد مرور أربع سنوات على بدء بحثه ، ومع ذلك يأس بعض من يكتسبون عنه فى موسهم الجرأة للادعاءات الواصفة التى ما أرسل الله بها من سلطان عن مباحثات مندور مع كبار الساسة والأدباء والمستشرقى فى فرنسا فى ذلك الوقت^١

ثم يحتتم مندور خطابه بأن الوقت قد صاف به وكذلت قدرة الله عن مجاحه ووفائه بوعده ، إذ ليس فى النتيجة إلا ما يعمم ، ثم يدعو لنفسه ولأستاده وأسرته أن تشملهم رحمة الله جميعا^(٣)

وفى خطابه التالى (وهو بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٦ م ، أى بعد الخطاب السابق بيوم) يورد مندور إلى السسطة يقول إن الامتحانات

(١) السابق / ١٣٤ - ١٣٨ .

(٢) السابق / ١٣٨ .

(٣) السابق / ١٣٩ - ١٤٠ .

لا يمكن أن تكون هي الدليل على كمال الإنسان أو نقصه ، بل الطالب أدرى من الأستاذ الممتحن بمواضع نقصه أو قوته ^(١) وهذا قد يكون صحيحا إذا كان للأستاذ موقف عالٍ من تعليمه أو كان غير مؤهل لوظيفته ، لكن لا أظن أنه كانت لسدور أية شكوى من هذه الساحة أو تلك ، وهذه خطابات إلى الدكتور طه خير شاهد على ما أقول ، فهي شالية تماما من مجرد الإشارة إلى شيء من هذا وعلى أية حال فهذه درجاته كما جاء في ذلك الخطاب : اليوناني واللاتيني ٨ من ٢٠ ، والعربي ٩ من ٢٠ ، واليوناني ٣ من ٢٠ ^(٢)

ورغم ذلك براء مرة أخرى لا يسأل بالقواعد المنظمة للبعثات فيسافر إلى خارج فرنسا ^(٣) ، ولا يكلف نفسه أن يذهب إلى مدير البعثة ليخبره بتيحة الامتحان ، بل يكتفى بمهاتمة متعللا بأنه مريض لا يستطيع الذهاب إليه ، فما كان من المدير إلا أن أخذ يتهكم عليه وعلى تخلفه بالمرض قائلا له إنه بحمد الله أن كان الأكرم في رأسه لا في قدمه ويشعر مندور أنه ينظر إليه على أنه صافق أو نصاب أو ممثل

(١) السابق / ١٤٠

(٢) السابق / ١٤١ - ١٤٢

(٣) هذه المرة إلى إيطاليا ، وهو يعاصر بأنه قد أمسى معه كثيرا في وحيته هائس متعللا في حذر الشمس بين الأحجار ومخوات الجبال (من

هزلى وقد حاول بعد ذلك ، كما ورد فى خطابه ، أن يقابله لكنه رفض أن يراه ، وهو ما يستغربه مندور أشد الاستغراب ، إذ كيف يحاصم مدير البعثة طالباً تحت إشرافه ؟ ^(١) هكذا يتساءل مندور وبراءة الأعمال فى عيبه ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، وكأن مدير البعثة يتجسّى عليه هكذا لوجه الله ! ولم لا ؟ أليس هو على الأقل إنساناً مستبشراً حساساً كريم النفس كما وصف نفسه فى خطابه المؤرخ فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦م إلى أستاذه طه حسين ؟ ^(٢) وللمرة التى لا أدرى كم ينشد الدكتور طه أن يتدخل ليهجره كالعادة من رطلته ^(٣)

وفى خطابه التالى (وهو بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٣٦م) يحير مندور أستاذه بما أنشأه به مدير البعثة من أن قرار فصله قد أتى من مصر ويأتى عليه الاستعداد للرحوع إلى الوطن كما يشكو من أن مكتب البعثات فى باريس لا يريد إعطاءه متأخراته المالية وكأنه أهدر دمه أستاذة أن يتدخل لحل تلك المشكلة ^(٤) وفى نهاية الخطاب يتساءل فى سخط : أيجوز أن ترعمنى الحكومة بهذا الشكل على الرحوع إلى مصر دون إتمام دراستى وأنا شديد الأمل والرغبة والشاغل فى

(١) السابق / ١٤٤ - ١٤٧ .

(٢) السابق / ١٥٠ .

(٣) السابق / ١٥١ .

(٤) السابق / ١٥٦ .

الانتهاء منها ^(١) . وهو كلام تكذبه الوقائع ويدل على أن مندور كان بارعا في قلب الحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق اطمعنا من أنه إلى أن يمكنه كسب أستاذه إلى جانبه .

لما رجاء النقاش فإنه يمسّر موقف مندور بأنه برهان على ما طُبِعَتْ عليه شخصيته من صفاء وإشراق وبعد عن السوادوية القاتمة ، فمهما كانت المشاكل التي تواجهه صلبة وعسيرة فإنه كان يحمل في نفسه أملا في الحل وإصرارا وعنادا في البحث عن هذا الحل فلو تعرض طالب آخر لمثل هذه المشكلة التي تعرض لها مندور في باريس لكان من الممكن أن نعتلي نفسه بالمرارة والتشاؤم واليأس ، ولكن مندور ظل يكافح ويبحث لنفسه عن سبيل للخروج من أزمته حتى وجد ما أراد . كان مندور دائما على هذه الصورة : لا يستسلم ولا يعرف اليأس ^(٢) . والواقع أن الأستاذ النقاش ، في دفاعه عن مندور ، إنما يجرى على نفس الحطة التي كان يشتمها مندور في تسريع إحقاقه المتوالي بسبب تصرفاته اللامسؤولة ، إذ بدلا من أن يشعر بالحجل ونأييب شعير ويعترف بتقصيره ويعرم عرما صادقا على الرجوع عن خطئه تجده مهاجم مدير البعثة والامتحانات والأساتذة ويتهم العالمين

(١) ينظر المرجع والمصفحة

(٢) رجاء النقاش / أدهاء معاصرون / ١٠٢ .

جميعاً إلا نفسه . إنها السياسة القتالة بأن : الهجوم حير وسيلة للدفاع . ولو كان كلام الأستاذ رجاء في محله لعمل مدور على أن يقوم بواجبه ويصح في دراسته ، إن لم يكن من أجل شيء فمن أجل بلده الذي يفتق عليه من - سرق العلاحين والعصا (أو) الثغيلة - كما يحب بعض الناس أن يقولوا ، أما أن يتحجج لمدير البعثة بأنه مريض لا يقوى على الذهاب لمتابعه ليقص عليه نتيجة امتحاناته ثم يعاجي ، مكتب البعثات بسفره إلى إيشنيا ومطالبتهم من المصادق لثنى كان يراها بها أثناء السفر بأن يسددوا عنه أجرة المبيت والطعام ، فهذه تصرفات لا تدل أبداً على ما يدّعيه رجاء النقاش لمدور بل على أنه لم يكن يشعر بالمسؤولية أو تكتيت الصمير . إن ما يقوله الأستاذ النقاش ما هو إلا تلاعب بالألفاظ بكل أسف !

وعلى هذا فليس الأمر ، كما ادعى د . مدور في حوار مع مؤاد دارة ، هو أن مدير البعثة قد عاقبه لأنه لم يفتح رأيه وسافر ليسترشد من المعرفة ^(١) ، بل الأمر هو أنه كان يحمل دراسته بهملاً شبيهاً ولا يبدى شيئاً يسم عن تألم لبعثته في الاتحادات وتنصيع "موائل الدولة على مجرد النقاء في باريس والعيش فيها بأسلوب حفرورش العصى" المتشرد عبر المال في رواية فكتور هجو : "البؤس" . كما يقول مدور في محر

رلى ذلك خطاب عبر مؤرخ يندب فيه مدور حفظه ويكي في

(١) مؤاد دارة / عشر ، "تحقيق" / ١٨٤ .

انهيار تام على مستقبله ذاكرة أن مدير البعثة يتهمه بالإهمال والسفر إلى جهات لا يعلمها خارجا بذلك على القواعد ، ومؤكدا أنه لم يكن في رفقه إحدى النساء كما يظن البعض ^(١) ، وأنه إنما كان في زيارة لآثار إيطاليا تثبيتا لما تلقاه في الجامعة من معارف علمية . وهو يتساءل في حسرة محاطا عميد الأدب بقوله : « أؤمس أستاذي حقيقة بينه وبين نعمه أنني أجمعت برأى تلك البلاد ^(٢) إجراما يستحق عظيم مستقبلي بهذا الشكل المخرن ومخيطم ثقة أهلى في هذه القسوة ؟ » ^(٣) وهو بهذا يتجاهل السبب الحقيقي ، ألا وهو إحقاقه في الامتحانات رغم تقلب الدُر بأنه سيمُصَل إذا استمرت أوصاعه على ما كانت عليه ورغم عودته المتكررة والمعلّقة للدكتور طه بأنه سيجب في الامتحان القادم . ويمضى فيقول إن مدير البعثة يتهمه بأن له موردا آخر عبر مربب البعثة مع أن والده لا يملك إلا سبعة وعشرين فدانا ويعول ثمانية أبناء ، وكل ما استطاع هو أن يقتصده لا يتجاوز ألفا وخمسمائة فرنك أنفقها على تلك الرحلة . ومع ذلك فإنه لا يجد مباحاً من إيراد نهمة المدير له بالتقصير في الدراسة ، ثم يقارن بين تعوقه في مصر ولعمرة المتكرر في باريس لاسماً بذلك لب المشكلة

(١) نحل في هذه التهمة ، إذا صحت ، بمعاً من التفسير لهذا التطور الغريب الذي أصاب مدور في فرنسا وحوله من طالب متعوق إلى إنسان يلاحقه الإحباط معظم الوقت .

(٢) يقصد إيطاليا وصقلية .

(٣) نبيل فرج / طه حسين ومعاصره / ١٧٣ - ١٧٤ .

والمقدمة التي يدور حولها الفصل الحالي من كتابنا^(١). ومن بين ما قاله أنه لو كان أعد رسالة الدكتوراه في القانون مثلاً لكان حفظه في الحياة أفضل من ذلك ، وكذلك نصيبه من الرزق . وهو يؤكد أن مستواه في اللغات الثلاث التي درسها قد وصل إلى درجة طيبة^(٢) ، متأسياً بذلك أنه لو كان هذا الذي يقوله صحيحاً لكان قد نجح ، فإن العبرة بالإجازات لا بالأقوال ، والا فكل إنسان يستطيع أن يدعى ما يشاء ، اللهم إلا إذا كان أساتذته يقصدونه بالأذى والظلم ، وهو ما لم يدّعه مجرد ادعاء في أي خطاب من خطاباتني إلى أستاذة ولا في أي مقال أو كتاب ألقى . ويتجاهل مدور أيضاً كثرة عهوده التي لم تتحقق فبعد أستاذة من جديد بأنه سيجح ، ثم يعطيه عهداً بأن لهم أن يشنقوه إذا لم يوفق^(٣) .

ويتمح من طرف حمى إلى أن الدكتور طه هو الذي ساقه في هذا الطريق ، طريق السمعة للحصول على اللبائس والدكتوراه ، وذلك عندما يقول له : « لست أحملكم أية مسؤولية عن تخطيم حياتني ولا عن حاتمئني المحزنة ، فقد فبلت السمعة بأرادني ومسؤوليتني لا يبررها جهلني بموضوع بعثي وتقدير هذا الموضوع . انقياس إلى قدرتي بل مقدرة أي بشر عبرى في حدود الرمس المصوح » . وقد كان على

(١) المرجع السابق / ١٧٤ وما بعدها .

(٢) السابق / ١٧٩ .

(٣) السابق / ٨٠ .

أن أذكر أن أهلى فى حاجة لى وأن أكسب حياتى ، وكنت مسلحاً بلباسين^(١) وهو بهذا يضع يده على ذلك الثمر العريب وإن لم يحلّه ، لفر تموقه البارر فى أثناء الدراسة الجامعية فى مصر ثم إجماعه المتلاحق فى باريس رغم كثرة الدعاوى التى يملأ بها خطاباتة إلى الدكتور طه وكذلك المراغم التى يطغى بها أنصاره وتلاميذه فى مقالاتهم ودراساتهم عنه .

ولا يقتنع مدور بهذا بل يهدد تلميحاتاً بأن فى استطاعه اللجوء إلى القضاء ، أما بطر أستاذى أنى لو كنتُ فرنسياً أو إنجليزياً ورفعتُ أمرى إلى القضاء لأنصفى ؟ بل لو طاوغتنى نفسى بأنها لى تمغيب أحدًا من يمرّ على أن أعصهم ورفعتُ أمرى للقضاء فى مصر أعجز أن أحد قاضياً عادلاً يقول الحق ويسطق بالعدل ؟ وإلى من أقول كل هذا ؟ أقوله لمن يعرف موقى ما أعرف أنه لا آلم فى النفس من الشعور بالظلم إلا عدم القدرة من الانتصاف من ذلك الظلم^(٢) ؟

وأصبح أن الدكتور طه قد خفّ لجذته كسّته معه ، إذ إن مدور فى الحطاب التالى (وهو كسابقه غير مؤرخ) يبدى فرحته برفقة وصلته من الدكتور طه قاتلاً إنه لو كان أمامه لانهار على يديه الطاهرى الكريمين بانتقيل اعتراضهما منه بحميلة الذى أنقذه مما كان

(١) مصر المرجع والمصحة

(٢) السابق / ١٨١ - ١٨٢

فيه من يأثم مهلك . وبعد هذا يمدُّ من جديد بأن يكون شكره إياه
على تلك النِّمة التي أسداها له هو أن يحصل في نوفمبر التالي على
شهادتي اللغة اليونانية وفقه اللغات المقارن ويرسلهما إليه في مصر وأن
يحرر في العام المقبل على أكثر تقدير شهادة اللاتينية والدبلوم ، ولا
فليُكْرَمَ ويَحْرَمَ من أبوته الروحية ثم ينتقل من ذلك مباشرة إلى رجائه
بالتوسط له عند مدير المئة لتسوية أوضاعه المالية حتى يستطيع أن يحقق
هذه المواعيد ، وكذلك بالكتابة إلى والده لطمأنته على أنه ليس
شاماً عروباً فاسد السلوك ولا يسي في عمرة كل هذا أن يعرَّح
على الديواني بك فيعمره بأنه ، على ما يظهر من شككه ، تركي
الأصل ^(١) يريد أن يقول إنه متعنت متعحر دون سب ، وهي
تهمة غير صحيحة بطبيعة الحال ، فليس من المعقول أن يطالب
مسؤول في مثل منصبه بمقابلة هذا العنل المتكرر من طالب بعثة
تحت إشرافه بالتصديق والتسهيل والتربيت على كسبه إن مدور ،
بكلامه هذا وأشياء له من قبل ، يريد أن يلقي صداً شراباً والعقاب بل
يريد أن يقلب الأوضاع فيجعل الحق باطلاً والباطل حقاً . إني لأؤمل
أنه لو كان قد انصرف في باريس إلى تأدية واجبه ، - بمنزلة بقدراته أو
يسَّع إلى الصدام دون حق مع المسؤولين في مكــ سبغات باريس
وأقبل صادقاً على مقرراته يستدكرها كما يسعى وبخاصة اللغات

والآداب القديمة والقراءة « فيها » بدلا من الاعتماد على القراءة « عنها » باللغة العرسية كما ذكر أكثر من مرة لأستاذه الدكتور طه ، وابتعد عن أسلوب الحياة الحافروشى البوهيمى القائم على الجرى فى أرجاء العاصمة العرسية طولا وعرضا وشرقا وغربا وارتباد علب النيل لكن لأحواله هناك شأن آخر ، فإن طالبا يجمع مثله بين الدراسة فى الجامعة المصرية فى ثلاثة تخصصات مختلفة فى ذات الوقت ويجمع فى امتحاناتها جميعا لعدة سنوات لهو قادر ، لو أحلص البية والجهد ، على إحراز اللبساس والدكتوراه من السربون فى أقصر مدة مع التحرر فى القراءة وارتباد المتاحف والمسارح والقيام بالرحلات الترفيهية والعلمية بشرط أن يراعى الاعتدال ويتوارن بين هذه الواجبات المختلفة ، وهو ما يبدو أن مدور لم يفعله ، فكانت النتيجة للأسف هى هذا الهوان الذى كان يطارده ويلاحقه من كل جانب ونشر حبر فصله من البعثة فى الصحف المصرية مما أفرعه أشد الفزع وكتب إلى أستاذه يستجير به منه (١)

ونصل إلى آخر حصاب فى كتاب سيل فرح مما أرسله مدور من فرنسا لأستاذه قاهرين فوق بعض الرسائل التى لا نهمننا فى هذا السياق كثيرا ، وهو الحصاب مؤرخ فى ٢٥ مايو ١٩٣٧ م ، وفيه يكرر مدور

(١) السابق / ١٨٦ - ١٨٧ .

وعده للدكتور طه بأنه سيجب وسيجمل الامتحان هو الذى يتكلم بدلا
 منه وليس فيه شيء آخر مما يتعلق بموضوعها الذى يعالجه فى هذا
 الفصل . ومع هذا فهناك مسألة لابد من إضافتها هنا ، فقد ذكر مندور
 فى إحدى رسائله التى بعث بها لطفه حسين بعد عودته من البعثة أنه لم
 يتم فصله بل صدر قرار من مجلس الكلية بختياره فيه بين الرجوع إلى
 الكلية والاستمرار فى باريس على معتقه الخاصة ، وأنه أثر البقاء لدراسة
 علم الأصوات التجريبي^(١) كذلك فهو يؤكد للدكتور طه أن بعثته لم
 تعمل رغم عدم حصوله على الدكتوراه^(٢) والحق أن الإنسان لا
 يدرى كيف يتعامل مع مثل هذا المطلق ، إذ ما هو العشل إذن فى بعثة
 كان المفروض أن يحصل صاحبها على درجة الدكتوراه فلم يحصل
 عليها بعد أن هيأت له الدولة طوال ثمانى سنوات ثم أسرته للمسة
 التاسعة كل ما يلزمه لإحراز هذا النجاح * من الواضح أن مندور كان
 يتمتع بجرأة بخسدها ومقدرة على إثبات الباطل بآب الحق واتساع
 سياحة * الهجوم خير وسيلة للدفاع * كما سبق القول

وفى آخر رسالة من مندور لطفه حسين بعد . دته من البعثة ،
 وقد وقع عليها معه زميله فى البعثة على حافظ حسنى ، مجد مرة

(١) السابق / ٢١٧ . والرسالة مذاهب فى ٢٥ . م
 (٢) السابق / ٢١ . ٢٢٤

صوت مدور في مخاطبته لأستاذة تتعير ، إذ بعد الود والتحاشع الرائد
 والتعاني في الشاء عليه والتهافت على تقبيل يديه الكريمتين الطاهرتين
 سمع مثل العبارة التالية : « سيدى الأستاذ ، نحييكم تحية خاصة
 محلبة ثم سألكم أن تعأوا بأمرنا في الكلية التي صرنا فيها كسقط
 المتاع ولا تلقى علينا من الدروس إلا أنشاء أولية كمبادئ النحو اللاتيني
 واليوناني لطلبة لا يدرسون هذه اللغات دراسة جدية . ولنا بدرى
 علام يدأ من شبابنا تسعة أعوام بحصل وعمل ثم لا نجد من يزكينا
 ولا يقرنا من الحير بل لا نجد إلا دعاة السميمة يقطعون علينا كل
 سبيل ، ويرموا عد من لا يقدر دراستنا بالجهل مرة وبالمرور مرات ثم
 بالكثرة أحيانا ونحن مؤمنون رغم كل شيء أن يدك أن تفعل الخير
 إن أردت ... إلخ » (١)

والحقيقة والواقع أن هذا هو التمرد والمرور بعينه ، وإلا فماذا
 نسئ مثل هذا الموقف وتلك اللهجة من سموت سلخ من عمره تسع
 سنوات بدخل الامتحان تلوا الامتحان ويقفل في معظمها ولا يحصل
 إلا على لباسر ثم يريد أن يفرص شروطه على الكلية التي يعمل بها
 طامع أن من حقه أن يعامل معاملة الحاصلين على درجة الدكتوراه
 وانظر إلى كلامه للدكتور طه ، الذي وقف إلى جانبه وكان يحل له

أولاً بأول مشاكله التي ورط نفسه فيها في بلاد المرسيس بإهماله واجباته والعيش في شريطة الادعاءات الخوفاء ، تر كيف تنكّر جملة واحدة لكل ما صمعه من أجله هذا الأستاذ !

ومعروف أن مندور قد ابتعد بعد هذا عن الدكتور طه وأقبل على الدكتور أحمد أمين ، الذي أعد معه رسالة عن المقد العربي القديم حصل بها على الدكتوربة سنة ١٩٤٣ م ، وهي الرسالة التي ظهرت لاحقاً في كتاب بعنوان « المقد المهجى عند العرب » والتي ظن نعمان عاشور خطأ أن عميد الأدب العربي كان هو المشرف عليها^(١).

ومعروف أيضاً أن مندور ترك الجامعة بعد ذلك واشتغل بالصحافة وقد برّر هذا بأن طه حسين قد حَقَّقَ عنده لإقباله على أحمد أمين فرفض ، عندما كان مديراً لجامعة الإسكندرية التي كان يعمل بها مندور ، أن يرقّيه إلى وظيفة مدرس^(٢) ، من الدرجة الرابعة^(٣).

ونسى الأستاذ رجاء القفاش وجهة نظر مندور بر يريد عليها قوله

(١) نظر مسمان عاشور / مع الرواد / ٦٥ وقد عاد منه ، بحث إلى الصواب فذكر أن المشرف هو الدكتور أحمد أمين ، بحث في مقاله « ذكريات عن مندور » المنشور بمجلة « أدب وثقافة » العدد ١٢ / ١ / أبريل ومايو ١٩٨٥ م / ٨٨

(٢) نظر فؤاد دوار / عشرة أدهاء يتحدثون / ١٨٩ - ٩١

إنه سمع عدداً كبيراً من تلاميذ الدكتور طه يؤكدون « أنه كان في معاملته لطلابه عاطفياً شديداً الحساسية سريع التأثر ، فهو يقف بحرارة وراء الذين يحبهم بل ومارال يقف وراءهم إلى اليوم يزكّهم وسهل لهم فرص العلم والحياة ، بينما كان شديد العنف على الذى يثيرون كراهيته بين الطلاب فيقف صدهم مواقف حادة قاسية . وقصة مندور شاهد على ذلك ^(١) ولا شك أن هذا الموقف يمثل جانباً من جوانب الضعف فى شخصية ذلك الأستاذ العظيم طه حسين ، وهو ضعف إنسانى طبيعى . ويبدى الأستاذ القاتر استكباره ودهشته إزاء هذا الضعف الظاهري ^(٢) .

وهناك تفسير آخر لترك مندور الجامعة يقدمه الأستاذ نعمان عاشور ، إذ أرجح ذلك إلى « انحصاره فى الحياة العامة وتأثره بالتيار الاشتراكي القوي الذى غير الحياة الثقافية على نهاية الحرب العالمية الثانية » ^(٣) . وبترتيب من ذلك يقول الأستاذ فتحي رصوان ، الذى يؤكد أن مندور قد أثر الصحافة على الوطنية الجامعية المرموقة والمربى المضمرن ، وذلك لإحساسه « أن دروا كبيراً من اتصال والعمل الحر

(١) وبمكا أن نصيف إلى هذا موقفه من ركنى مبارك ومحمود شاكر ونجيب البهيتى مثلاً

(٢) رجاء القاتر / أدباء معاصرون / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) نعمان عاشور / مع الرواد / ٦٥ .

يتظرو ، فلم يتردد في توقيع العقد به وبين صاحب جريدة «المصري»
غير أنه بما قد تجره عليه الأيام من مناعب تحصيل العيش في أيام كان
دخل الأديب ضئيلاً ^(١) ولا يعتمد كثيراً على هذا التفسير الأستاذ
فؤاد قدبل ، الذي يصعب أن مدور قد « أدرك أنه لم يستطيع أن يقدم
القرايين لأحد لأن كرامته فوق أي حق من حقوقه مهما علا . وأن
صبعه لا يتفق مع الجامعة والكلاسيكية المطلوبة لها مع قدر من الترمت
والحمود وقدر آخر من العزلة والترف عن المجتمع والعد عن مشاكله
والاكتفاء بتعليم الطربيات وشرح الأفكار والفلسفات » ^(٢) ولكني
أعتقد أن الحديث عن معالة مدور بكرامته هو حديث مباليغ فيه ، فقد
ذكر عبر واحد أن لقمة العيش كثيراً ما جعلته يتعاصى عن مسألة
الكرامة هذه ^(٣) أصعب إلى ذلك أن خطاباته لأسناده طه حسين
جمعاء (اللهم إلا الفقرات الأخيرة من خطابه الأخير) تقول عكس

(١) حتى رسوا / محمد مدور عميد الفن الأدبي العربي الحديث /
مجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢) / إبريل ومايو ١٩٨٥م / ٦٩ -
٧٠ .

(٢) فؤاد قدبل / محمد مدور شيخ النقاد / ٦٢

(٣) انظر مثلاً رجاء النقاش / أدباء معاصرون / ١٠٥ - ١٠٦ ، وسليمان
عياض / وجوه من الذاكرة / ٣٦ ، وبعثاء عسيرة / مع الرواد /
٧١ ، وما نقله د . محمد الدسوقي عن نزوت أبانة في كتابه « طه
حسين يتحدث عن أعلام عصره » / سلسلة « امر » (العدد ٥٧٨) /
٨٣ - ٨٤

ذلك . أما دعوى التناظر بين طبع مندور وأوضاع التدريس فى الجامعة لما يحف بها من ترمت وجمود وترفع عن المجتمع وانعزال عنه ، فإن حياة مندور وكلامه بقصائنها ، إذ ظل ، بعد تركه الجامعة ، يحاضر فى بعض المعاهد العالية ، كما أنه يقول بصريح اللفظ فى أحد فصول كتابه « قضائها جديدة فى أدبنا الحديث » . « يظهر أنى خلقت لأكون مدرسا . وبالمعمل لم أهر قط هذه المهنة رغم تقلبات حياتى المتعاقبة ، فقد واصلت التدريس وأنا أعمل بالصحافة أو الشاعرة أو البرلمان . ولا أحس أن هذه المهنة قد كانت دائما من مصادر بهجتى وعزائى فى الحياة . ولا أفس فرحة تعدل فرحتى برؤية رهرة من رهرات الشباب تتمتع بين يديّ أو نهشُ للفائى » (١)

أيا ما يكن الأمر من المعيد أن نتعرف على وجهة نظر الدكتور طه فى هذه القضية وهى شخصية الدكتور مندور بوجه عام . لقد قال طه حسين د ب مرة للدكتور محمد القدسوى الذى اشتغل بالقراءة والكتابة له فى أحربات حياته « إن الدكتور مندور ليس ذا بال فى الثقافة » ، مرد عليه هذا قائلا « إن الدكتور مندور قد أسهم فى حياتنا الفكرية المعاصرة إسهاما طيبا ، وله مؤلفات علمية جديرة بالخلود » ،

(١) محمد مندور / قصايا جديدة فى أدبنا الحديث / دار الآداب / بيروت / ١٩٥٨م / ١٢٢ . وانظر أيضا ما قاله فى هذا الموضوع فى حوار مع فؤاد دررد فى « عشرة أدباء يتحدثون » / ٢٠٢ - ٢٠٣

فقال العميد « مثل ماذا ؟ » فأجاب د. الدسوقي : « مثل كتاب
 النقد المسيحي عند العرب » ، فقال « هذا كتاب (هايف) ، واعلم
 أن هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الدكتور مندور إلى
 جامعة القاهرة ، فقد أوفدته في بعثة في باريس ومكث بها اثني عشرة
 سنة^(١) ، ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة
 الليسانس في اليوناني بسبب عثه ولهوه وعدم إحلاصه للعمل ، وبعد
 عودته قدّم ذلك الكتاب كرسالة حصد بها درجة الدكتوراه » هذا ما
 قاله الدكتور طه عن شخصية مندور العلمية والحلقية ، أما عن سبب
 تركه للجامعة فيقول « إن الدكتور مندور كان يحرص على المادة ،
 فحين كان أستاذا مساعدا بجامعة الإسكندرية عرّض عليه الأستاذ
 أحمد أبو الفتح أن يدفع راتباً مقداره ١٢٥ جنيهاً لقاء عمله في
 صحيفة « المصري » ، وجاء إلى الدكتور مندور (فقد كنت مديراً
 للجامعة) وقدّم إلى استقالته ، فحاولت أن أثبته عن عزمه وأدّكره
 بمستقبله في الجامعة ، بيد أنه أصر على رغبته في الاستقالة^(٢) ،
 فالراتب الذي سيحصل عليه من العمل في الصحافة صعب راتبه في
 الجامعة وبعد فترة احتلف مع الأستاذ أبو الفتح ووصل الأمر بينهما

(١) المعروف أنه مكث فيها تسع سنوات ليس غير

(٢) يقول الأستاذ رجاء الشافعي ، ص ١١٥ ما نقله عن نفسه مع حسين علي
 مندور ، إن الدكتور طه لم يحاول أن يثبته عن هذا الاستقالة (انظر

كتابه « أدباء .. صبرون » ١ - ٨)

إلى القضاء . ثم بعد فترة صمت قليلة أضاف قائلاً : « والذى أحمدته للدكتور مندور وفاءه »^(١) وحس تقديره لأساتذته وأدبه معهم فى الجدل والنقاش »^(٢).

فلنمى الحقيقة فى هذه الروايات المختلفة عن استقالة مندور من الجامعة ؟ يبدو لى أن رواية طه حسين ربما كانت أقرب إلى الواقع ، ودليل ذلك أن مندور فى حوار له مع عبد التواب عبد الحى لا يذكر مناعه مع إدارة الجامعة بل لا يشير إليها مجرد إشارة ولو من بعيد ، وكل ما قاله هو أن محمود أبو المنيح قد أبدى إعجابه بمقالته التى كانت تنشرها له مجلة « الثقافة » وأرسل بمأوصه فى أن يشتغل معه فى صحيفة « المصرى » عارضا عليه مرتباً شهرياً قدره خمسة وسبعون جيبها^(٣) بعقد مدته خمس سنوات فقبل فوراً ويؤكد هـ ما أبداه مندور نفسه للأستاذ عبد الحى من بدم على هذا الاحتيال ، وهذا هو نص كلامه : « لست أدرى كيف رأت قدمى قد دخلت هـ الطريق المظلم المسدود »^(٤) وبدمه باع ، فيما أتصور ، من أنه قد حرح من الجامعة ولم يستطع أن يعود إليها وأن أحلامه المالية المتعلقة

(١) كذا ورد ، والصواب رفعها لأنها خبر الاسم الموصول

(٢) د محمد الدسوقي / طه حسين يتحدث عن أعلام عصره / ٨٣ -

٨٤

(٣) وليس مائة وخمسة وعشرين جيبها كما قال طه حسين

(٤) عبد التواب عبد الحى / عصر حياتى / قدر القومية للطباعة والنشر

بالصحافة ورأسها الكبير قد انتهت إلى لاشيء . وقد يستطيع أن نصيف إلى ما قاله الدكتور طه عن سب استقالة مدور من الجامعة إحساسه بأنه مهما فعل فسبطل دون زملائه الذين حصلوا قبله على الدكتوراه ولم يتعرضوا لما تعرض له من الإحفاق المتكرر

ومع ذلك فإن الإنسان لا يستطيع إلا أن يحب أشد الحب من قول د لويس عوض ، تعليقاً على طول مدة البعثة التي قضاها مدور في فرنسا ورجوعه بعد انصرام تسع سنوات دون إحراز درجة الدكتوراه، إن مدور « لم يشأ أن يحفظ العلم خطفاً ويعود بعد أربع سنوات ^(١) حاملاً دكتوراه الجامعة أو حتى دكتوراه الدولة في الأدب العربي كما كان مقرراً له أن يعمل ، بل رأى في بعثته العربية فرصة الثمينة للتعلم في أسرار الحضارة الأوروبية ودراسة الأدب والعن على الطبيعة وليس في صحائف الكتب التي كان يستطيع أن يستقدمها إلى القاهرة دون حاجة للسفر إلى الخارج » ^(٢) وهو نفسه ما قاله د. مدور عن لويس عوض في كتابه « النقد واليقاد المعاصرون » ، وكأنهما الصوت والصدى ^(٣) . ووجه الحب في هذا الكلام ما فيه

(١) كانت مدة البعثة أربع سنوات قابلة للتجديد كما يقول ، وكانت كذلك على أيها عندما كنت أدرس للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد ، وأحب أنها لا تزال كذلك

(٢) د لويس عوض / الثروة والأدب / الكتاب ١ - هي - يونيو ١٩٧١ م /

(٣) أنظر د محمد . ر / النقد و - د المعصره / د - بهجة مصر

من سفطة ، إلا فإن لويس عوض نفسه هو ، بمقتضى كلامه هذا ، واحد من حطّغوا العلم حطّفا ، إذ لم يقص في بحثه كل هذه المدة التي قصاها مـرر ورعم هذا حصل على درجة الدكتوراه التي لم يُكتب لمدور الحصول عليها . كما أن هذه السفطة تشجّع المبحوثين على إطالة مدة بحثهم وتكيد الدولة الأموال الطائلة بحجة أنهم يعمون الروح في العلم وعدم حطّعه حطّا ولو كان هذا منطقا صائبا لرأينا الغربيين حينما يأتون إلى بلادنا لدراسة آدابنا ودينا ، وهم قليل ما يعملون ، يحرصون على إطالة أمر بقائهم بين ظهرائنا كيلا يكون غلثمهم غطّا والملاحظ أن هذه السفطة هي حجة الدهر لا يؤثّقون عادة في بحثهم ثم ألا يكفى المبحوث أربع سوات أو خمس أو ست كى ينعرف على الحضارة الأوربية ويتقن تخصصه ويحصل على شهادة الدكتوراه التي أرسلته الدولة من أجلها ؟ إن في التحجج بأن الشهادات ليست هي كل شيء أو ليست هي المرادة من طلب العلم ناقصا شديدا ، لأن السؤال المنطقي في هذه الحالة هو ولم حرص صاحب هذه الحجة على بيل الشهادات السابقة على الدكتوراه ولم يقع بمجرد طلب العلم ؟ وفصلا عن ذلك فليست في الحقيقة أدنى كيف يمكن دراسة الأدب على الطبيعة في فرنسا ؟ أيقصد الدكتور لويس الأفلام والأعمال المسرحية ؟ لكن هل كل النصوص الأدبية روايات ومسرحيات ؟ وعلى أية حال أقلم يكن من الممكن مشاهدة الأفلام والمسرحيات في مصر ؟ وأخيرا أفلا يمكن أن يحقق

المبعوث الهمداني معا دراسة الأدب والعرف في الحياة ، ودراستهما في نفس الوقت في الكتب والحصول من ثم على الشهادة التي تثبت أنه قد بذل جهده في البحث والدرس وأن عده من الفهم والمعرفة ما يحكمه من أن يكون مدرسا يتل علمه للأجيال التي تليه ؟ إن معظم المبعوثين يفعلون ذلك .

وحربا على خطأ لويس عوض في هذا المصمار يكتب فؤاد دوار في الكتاب الذي ألّفه عن الدكتور مندور في سلسلة « مفاد الأدب » فيقول إنه « خلال إقامته الطويلة في باريس لم يكتب مندور بمتابعة المصارع التي مرض على بعده دراستها بل انفتحت شهيته العلمية للمراقبة على حضور الكثير من المحاضرات لكبار أساتذة الفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس خارج البرامج المحددة لدراسته ، فضلا عما اكتسبه خلال تلك السنوات من ثقافة حصنة عميقة من حياته العربية الحرة في باريس ورحلاته الكثيرة خارجها وهي بعض الدول الأوربية ، وبخاصة اليونان مهد الحضارة الإغريقية »^(١) وينفض النظر عن مدى الدقة في هذا الكلام أو للمالعة فيه إلى الدرجة التي يقول دوار عدها إن مثل هذا الراد الثقافي الصخم لم تتوفر لأحد من أساتذة الأدب العربي من جيل مندور ، متسائل : إذا كان الأمر كذلك فما

(١) النظر فؤاد دوار / محمد مندور / ١١٦ .

الذى حال بين مدور صاحب كل هذه الهمة الثقافية والقدرات الدراسية وبين النجاح فيما هو أدنى من ذلك وأسهل تحصيلاً ؟ أو لماذا لم يهتم بأن يجمع بين الحسين تحصيل هذه الألوان الثقافية المختلفة الحرة ، والنجاح فى المواد المقررة ؟ هل هناك تعارض بين الأمرين ؟ كلا لم كلا ، فضلاً عن أن هناك نقاداً فى حيل مدور وفى الأجيال الشابة والثالثة قد تركوا أعمالاً نقدية أكثر وأعظم وتدل على أن الجهد المبذول فيها أمهم كثيراً من جهد مدور فيما خلف من كتب ودراسات ، فإن معظم ما كتب مدور فى مجال النقد الطرى إن هو إلا تلخيصات أو ترجمات لأصول فرنسية لا يمتى بعه حتى بمجرد الإشارة إليها وأوضح مثال على ذلك كتاب چان كالفيس فى « المعادح اعمالية » ، الذى سطا عليه وأحده كما هو لم يعمل فيه شيئاً فى العال ب سوى أن قدّم بعض فقراته وأخر ، وهو ما سوف يبحثه تفصيلاً فى الفصل التالى من هذه الدراسة

ويردد مؤاد قذيل ما يقوله لويس عوص ومؤاد دواره مع شيء من التلويب والتفصيل يقول : « لقد قرأ مدور فى هذه الفترة مئات الكتب وقابل عشرات الشخصيات البارزة من السياسيين والأدباء الفرنسيين والمستشرقين الأوربيين ودارت بيه وبينهم مناقشات ومباحثات جادة وعميقة فى شتى القضايا ، فضلاً عن مشاهداته فى المعابد والمتاحف والمعارض والمكتبات » ثم يضيف قائلاً : « كان صوت الحياة فى أدن

وقلب مدور أعلى ، وبرتق أوضع ، فاستجاب لها وجرفه تيارها وظل
الوطن في عييه ومي قلبه هما أوحدا (١) إن الحياة المجنونة في باريس
هي التي جذبت إلى الحياة لا إلى باريس لقد عمقت في نفسه
إحساسه بالحياة والعمل والكفاح ولعل هذا ما يؤكد لنا أن بنة مدور
هي إعداد رسالة الدكتوراه في الأدب العربي قد بدأت في الثلاثين
تدريجيا بعد وصوله إلى باريس وحياته فيها ومعايشته لفتيات العيفة
التي كانت تعصف بأوروبا ، وهو الذي جاء من مياه ضحلة ومن سكون
أشبه بسكون الصحراء كان يمدح نحو الحياة ليأخذ منها أوفر
الجرعات لأنه عن قريب سيصود إلى المياه الضحلة وإلى سكون
الصحراء (٢).

وهذا في الواقع كلام كبير ، ولكنه في نهاية المطاف مجرد
كلام لا أكثر ، فمن أين للأستاذ قديبل أن مدور قابل عشرات
السياسيين والأدباء والمستشرقين البارزين وماقتهم وباحهم أثناء دراسته
في فرنسا ؟ إن مدور نفسه لم يقل ذلك ، فهل يسمى أن يكون
مدور بين أكثر من مدور ؟ إن خطابات «مدور لأستاذه الدكتور طه
حسين ، كما سبق أن بينا في هذا الفصل ، تصوره دائم انبعاثات
والتهبط والإعماق ، رئيس فيها أي حديث عن مشرقين أو سياسيين

(١) كذا ، وصوابها : - هما أوحدا .

(٢) مؤلف قديبل / - مدور شيخ القناد / ٥٠

كبار أو صغار . وقد بلغ من تكرور تعرضه أن أحد يكي ويهدد بالانتحار كما رأينا . والحق أنه لولا تدخل الدكتور طه من أجله في كل مشكلة يجلبها لنفسه بسبب عدم اهتمامه بدراسته ومن ثم فشله في معظم الامتحانات التي دخلها لأعيد من البعثة مبكرا . والحق أيضا أن مندور كان بارعا في معرفة المنافذ التي يستطيع أن يدخل منها إلى قلب الدكتور طه . ولقد طُلَّ يَطِيب في الشاء عليه وكُيِّل المديح والدعاء له ولأفراد أسرته إلى أن صاق به الدكتور طه رفع يده عن مساعدته فانقلب عليه مدور وتحول إلى الدكتور أحمد أسير ، ثم بعد ذلك كتب مقالا مقديا عن « دعاء الكروان » أحد يتحدث فيهِ ويتالم على أستاذه وسمى ما كان يقوله من قبل فيه ^(١) . ولست أقصد أن أدافع عن الدكتور طه ولا عن روايته ، فإن رأيت فيها أشد مما قاله الدكتور مدور ^(٢) ، ولكني أريد أن ألفت النظر إلى انقلاب مدور الفجائي على أستاذه الذي كان محلا أسماع الدنيا صحيحا بالتمزل في محاسن عقده ونفسه ، وذلك بمجرد أن قبض يده عن انتشاله من الحُفْر التي كان دائم الارتفاع فيها .

(١) انظر هذا المقال في كتاب مدور « في الميزان الحديد » / ط ٣ / مكتبة نهضة مصر ومطبتها / ٥١ - ٥٨ .

(٢) انظر العمل الحاسر بها في كتابي « مصر في النقد القصصى » / ط ٢ / ١٩٨٧ م / ٥٩ - ٧٦ .

ومع ذلك فإن فزاد قديبل قد سها فوضع يده على الحقيقة ويطق
بها دون أن يدري ظنا منه أنه يدافع عن مدور ، بينما هو في الواقع
يكشف غواره وصعفه ، وذلك حين قال إن الحياة الباريسية المحبوبة قد
شعلته عن دراسته فأحدث بيته في إعداد رسالة الدكتوراه في الأدب
العربي تتلأشى إلح . ويريد على ذلك أن اهتمامه بالدراسة
التحضيرية لرسالة الدكتوراه كان هو أيضا صثيلا جدا ، إذ لم يحج في
الحصول على الليسانس إلا بعد تسع سنوات بالتمام والكمال

هذا ، وقد كسُتُ أشرتُ فيما سبق من صفحات في هذا الفصل
إلى أن مدور كان يخطئ أخطاء فاحشة في لعته الأم كما تبين لما
خطاباته التي كان يرسلها من فرنسا إلى أستاذ الدكتور طه والتي نشرها
نبيل مريح في كتابه « طه حسين ومعاصروه » . وهأنذا أستعرض مع
القارئ في عجل هذه الأخطاء ، وهي أقوى رد على من يكيلون
لندور المدح جرافا من هذه الساجية . وسوف أعرض القُصُوف عما يمكن
أن يكون مرجعه إلى الأخطاء المضمية ، وستكون حطتي هي ذكر
الجملة التي ورد فيها الخطأ ثم شفعه بالتصويب عفه مباشرة بين
قوسين :

- لَأْمِي وَلَتَقْ أَكْبَمَ لِي تَرَوْنَ (تَرَوْنَ) إِلَّا لَهْمِير (١٠٨)

- ولعل أستاذي علم بأن لي صديقاً من الـ Ecole nor-
male ومرشع (و شحاً) للـ " École d' Athènes " أحصُر

معه امتحاناتي (ص ١٠٠) .

- قبل أن يبدأ (يبتدئ) العام الدراسي (ص ١١٣) .

- وأما الرسائلين (الرسائلان) فربما كانا كالأقنى ..

(ص ١١٣) .

- لم أسالك (أَسَلَكَ) يا أستاذي (ص ١١٤) .

- واعتذرت له عن عدم استأذنه (استئذانه) قبل زيارة مصر

(ص ١١٥) .

- ولكن فيما (هم) المحب ؟ (ص ١١٦) .

- ما أظنه سمح يوما أن تصطرد (تطرد) ألام شبابي حلوة

في غير حرارة (ص ١١٦)

- ما أضعكم نظائري (نظائري) بهذا (ص ١١٨)

- وصلني من أحي خطاب ومن أحد أبناء عمي خطاب آخر

بحراني (بحراني) بحر فضلي من البعثة (ص ١٢٠)

- وكنت أظن أنكم ستصدقوني (ستصدقوني) فيما أقول

(ص ١٢١)

- سامحكم الله ، وعشتم سعيدون موفقون (سعيدين موفقين)

(ص ١٢٢) .

- عاقبي لبحروحي عن رأيي . . عفايا ليس دوره (ليس وراءه) ،

أو ليس بعده (عقاب) (ص ١٢٧).

- وكم يكون امتثالي (شعوري بالمنة) ^(١) لو سمح وقتكم
وتفضلتم بإخباري عن مجمل شعوركم بحوي (ص ١٣٢)

- ليس لديها مثلاً (مثل) أصبح ولا أسلم لدراسة تاريخ وتطور
اللغات عبر هذا المثل (ص ١٣٣)

- كما لا يحماكم (يحفى عليكم) (ص ١٣٣) وقد
تكررت عدة مرات أخرى في ص ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ٢٠٤ -
(٢٠٦ ، ٢٠٥)

- من يستطيع أن يدعى دراسة اللغة العربية دون أن يكون في
مشاركته عسى الأقل الكتابيين الهاميين (الكتابيين الهاميين) الذي
(اللذان) أقصر على ذكرهما ؟ (ص ١٣٧)

- ... دون أن يصفى أي رد من حصرة مدير البحث عسى خطائين
الذي (اللذين) أخرته بهما بما كان من أمر امتحانتي (ص ١٤٤)
- آليت نظر عرتكم إلى أنى لم أرجو (أرج) معالي محرم بان
فتدخل في الأمر إلا حيق ذات يدي (ص ١٤٥)

- هل من المبالغة ذكره النفس أن يحتشم مدير بعثة طالب

(١) : الامساك ، هو : إسماع أو التذكير بالعملة لا الشعور بها

(طَالِبًا) تحت إشرافه ، طَالِب (طَالِبًا) لا حول له ولا قوة ... ؟ (ص ١٤٧) .

- وهأنا أرسل لكم إحداهما مؤقتًا لتروا / سرًّا) بأنفسكم صدق ما أقول (ص ١٤٩) .

- هل تريدون أن أقبل معاملة كهذه ، لا أقول بصفتي تلميذكم ، بل بصفتي إنسان (إيسا) على الأقل مسير (مشير) ... ؟ (ص ١٥٠)

- ما كنت أنتظر من وراءها (ثيها) شيئا (ص ١٥٣) .
- رحائي الأخير الحار هو أن تتفضلوا فتكسبوا (فتكسبوا) لي عن رأيكم (ص ١٥٨)

- وقد بحثتُ بحثًا في الحرث عن منحصا (منحص) فلم
لم أجد شيئًا ، (ص ١٥٦)

- ولكلاهما (لكليهما) أثر واضح في حياتنا اليومية (ص ١٦٣)

- وهم فلاسة أى معكرين (معكرون) (ص ١٦٥)
- كانوا فلاسة أكثر من رياضيين (أكثر منهم رياضيين) (ص ١٦٧)

- . ولا لفصلتُ رأيه وذهبتُ إلى إحدى القرى في فرسا أو

إحدى (أحد) شواطئ البحار (ص ١٧٤).

- ومهما يصيبني (يُصِيبُنِي) من أدى فأشدّه في نفسي ما
أصاب أهلي من حيرة (ص ١٧٧).

- رداً كان إخواننا العلاسفة والمؤرخين (والمؤرّجون) أصاعوا
حمسة أو ستة أعوام في تحصيل لسان فلسفة أو تاريخ . وأما (أفعا)
يصحّ عدلاً أن تعطوا سنة أكثر منهم على الأقل ؟ (ص ١٨٠)

- أما كان من الواجب أن تتحققوا معي . وتعاقبوني
(وتعاقبوني) بحصم مرثى مثلاً أسبوعاً أو اثنين أو شهراً ؟ (ص
١٨١)

- أظن هذا لا ترصوه (لا ترصونه) ولا يرصاه إنسان (ص
١٨٣)

- لم يُغوي (يُغْوِي) أحد عن نفسي (ص ١٨٥)
- وهما أشدّ بئى مُساق (مُسَوِّق) بحرك في راحة بعض (ص
١٨٨)

- وهما يأتني دور السبب الآخر لحموفي (إحسانى) في
البعثة (ص ١٩٤).

- إلى هذا يجب أن يصرف مجعما لو كان لرأى قيمة أو لو
سألت (سألت) في ذلك (ص ٢٠٤).

- ماذا يفعل بالشعرية (بالشعري) سنوات (١) الأخرى
...؟ (ص ٢٢٣)

يرى القارئ متى كيف أن الأخطاء الإملائية واللغوية في تلك
الحطابات كثيرة وباهظة وأنها في أمور ابتدائية غير معقدة ولا تليق بأى
حائى بطالب يدرس للحصول على الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها
ومى ذلك الوقت المبكر من عمر التعليم المصرى قبل أن تفسد الأمور
على النحو الذى نعرفه الآن (٢) وسوف يقابل القارئ مثل هذه

(١) يستأرى فى دخول الألف واللام على العدد المضاف إلى تمييزه غير
المعروف به ، أ ل بألف وقد عالجته هذه المسألة بشيء من التفصيل
فى كتابى « رحمة ابن حمير الأندلسى - دراسة فى الأسلوب » /
مطبعة الأوقاف الحديث / ١٩٩٢م / ١٦٦ - ١٦٨

(٢) لاحظت أن مؤد دارة ، عندما أعاد نشر ما كتبه له د مندور عن حياته
فى كتابه عنه فى « سلسلة « نقاد الأدب » بعد أن كان نشره فى « عشرة
أدباء يتحدثون » فى الستينات ، قد غير بطريقة مطردة التركيب التالى :
« بسى وبين هلال » وحمله « بسى وهلال » بحذف « بين » الثانية
(ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٨٠ مثلاً) وهو خطأ يبدو أن سببه
قياسه تكرير « بين » فى هذا التركيب (الذى أحد طرفيه صميم)
على تكريرها فى نحو قولهم « بين على وبين أحمد » ، إذ يحطى
المصنفون المتشددون هذا الاستعمال الأخير وهذا القياس خاطئ تماماً ،
لأن « بين » يجب أن تكرر إذا كان أحد طرفيها أو كلاهما صميم
بل لقد كتبت ، عن صديق ليراد عشر الشواهد من الشعر الجاهلى
والإسلامى ، أن تكررهما ، حتى لو كان طرفاهما كلاهما اسمين
طامرين ، لا عار عنده (لطر كتابى « من دوائر المكتبة العربية » /
دار النهضة العربية / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م / ١٧١ - ١٧٥) ومع
هذا ، من مندور لا يـ... عن هذا فيما يحيل إلى بل دارة .

الأخطاء في ترجمة مندور لرواية فلوير * مدام بوفاري * .

إن للدكتور مندور رأيا في مسألة الصحة والخطأ في اللغة يعارض ملاحظات السابقة على أحفظاته ، إذ يقول * إن مسألة الصحة والخطأ في اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها في غير مجال التعليم المدرسي ، وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المباحث التاريخية ، فتري العلماء أنهم لا يقررون الخطأ والصواب في اللغات ، وإنما يستقرئون تسميات عبد شارب الخشاب ويصرون ما يضروا على اللغة من تطور * ^(١) بيد أنني لا أستطيع الموافقة على هذا الكلام ، إذ لابد أن يظل هناك معيار للصواب والاحرف في كل مجالات الحياة ، ومنها اللغة . وبإمكان كبار الكتاب أن يستدعوا تعبيرات وصورا وتركيب جديدة يعون بها اللغة ونقلها على الرأس والعين ما دامت تخرى على القواعد العامة للغة ولا تصادمها . أما تخطيم الإعراب على النحو الذي رأينا في حضائبات مندور لمعيد الأدب العربي فهو مرفوض تماما ، لا من الناحية المعرفية حسب ^(٢) بل من الناحية الدوقية الجمالية أيضا ، إذ

(١) د محمد مندور / في الميراث الجديد / ٢٠٧ - ٢٠٨ . وانظر أيضا كتابه * كتابات لم تنشر / كتاب الهلال (العدد ١٧٥) / أكتوبر ١٩٦٥م / ١٠٠ .

(٢) حيث إن علامات الإعراب تجدد إلى مدى بعيد معنى الكلام ، فقولنا مثلا * صبر عليا محمد * معناه أن الصارب هو محمد والمصروب هو علي . والذي عرفنا هذا هو رفع * محمد * ونصب * علي * . أما كان مرفوع * ميبها من الجملة .

ما معنى أن أحذف نون الأفعال الخمسة في بعض حالات النصب والحرم مثلاً ولا أحذفها في بعضها الآخر ؟ إن في هذا خروجاً على التناسق والخطام ، وهو ما يؤدي النفس والعين . ولقد تكرر صوب مدور المثل ببعض أخطاء إملائية في كتابات فلوبيير ، وردنا على ذلك هو أن عمقيرة فلوبيير قد تكون أكبر من هذه الأخطاء ، لكنها لا يمكن أن تخجل السائل صواباً ولو برئت كتابته من هذه الإحراجات لكات بالتأكيد أفضل كثيراً وعلى كل حال فإن الخطأ وارد في كل ما بدع وما يكتب ، ولكن ليس معنى ذلك أن ساركة أو نادى به أو تحدث عنه وكأنه حصة كلاً بل ينسى أن يظل سطر إليه على أنه شيء مريب وسفر ، ولا بد أن يبدل كل ما يورسها للتخلص من أوصاره

وفوق هذا ففي مواضع أخرى من كتابات مدور يراه برحمتي يمثل هذه التصحيحات اللعوبة مثلما فعل مع ملاحظات المارسي على بعض الاستعمالات الأسلوبية عند حافظ إبراهيم^(١) . بل إنه هو نفسه قد خطأ مثلاً الأستاذ محمد حليم الله لاستخدامه كلمة « السيكنوجية » بمعنى « نعية فلان » قائلاً إنها خطأ ، لأن هذه اللفظة تسمى « علم النفس » ، والصواب أن يقول : « عقلية » أو « نعية » أو « ذهنية »^(٢) ولو اتعنا كلامه الأول لقلنا وماذا في

(١) نثر كتبه : عقد والنقاد المعاصرون ، ١٦٨ / ١٦٩ .

(٢) نثر ، في الجيران الجديد ، ١٦٦ / ١٦٨ .

استخدام « سيكولوجية » بمعنى « معنوية » مادام الكتاب الكبار كالأستاذ حلف الله يستعملونها^(١) ثم ها هو ذا الدكتور مندور نفسه يدافع ، بمصر الحرارة التي يدافع بها ، عن القواعد اللغوية ، وذلك في رده على مهاجمة ميخائيل نعيمة للأدباء والقاد المتشددين في اللغة وقواعدها وعلمونها ، إذ حمد الله أن هذا الهجوم لم يحرّج من النطاق النظري إلى مجال التطبيق ، كما أكد له « أن قواعد اللغة ليست قيوداً متطفلة بل أدوات تعبير بالغة الأهمية فإن أدوات الإعراب هي وسائل التعبير عن العلاقات التي تقوم بين دلالات الألفاظ من فاعلية ومفعولية وإحبار وإشياء وتحدد رمزي وسوعي للأحداث واللغة التي تتهاون في قواعدها إنما تتهاون في أهم جانب من جوانب وظيفتها ، وهو جانب التعبير عن الروابط والعلاقات »^(٢)

(١) وذلك إن كان استعمالها في هذا المعنى استعمالاً خاطئاً والحق أنه استعمال صحيح رغم كل ما قاله د. مندور (انظر مثلاً معجم إيدوار تركيا المعنى " Dictionnaire Français - Arabe " ومعجم « المجلد » لجورج عبد النور وسهيل إدريس) .

(٢) القاد والقاد المع. سرون / ٤١ - ٤٢

اتهام مندور بسرقة كتابه : « نماذج بشرية » و « محاضرات عن إبراهيم المازني »

في الأعوام الأخيرة ثار كلام حول الدكتور محمد مندور بخصوص كتابه « نماذج بشرية » ، الذي يحوى عدة دراسات نقدية نشرها منجمة في مجلة « الثقافة » في الأربعينات ثم جمعها بعد ذلك في كتاب ، إذ وجه إليه د. الطاهر مكي التهمة بأنه سرقة كله تقريباً من كتاب جان كالفيه أستاذ النقد الفرنسي الذي كان يدرس (كما يقول) في جامعة السربون في الوقت الذي كان فيه مندور مبعوثاً إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه ، وهو كتاب من ثلاثة أجزاء بعنوان « السامح العالمية في الأدب الفرنسي والعالمي » : فالنماذج التي درسها مندور هي هي السامح التي درسها كالفيه ما عدا نموذج « إبراهيم الكاتب » للمازني ، والموضوعات هي هي ، وكذلك المنهج والاستشهادات ولم يغير مندور نفسه بالإشارة إلى هذا المرجع الفرنسي ، ومن ثم فعله يدخل في باب « السح » و « السرقة الأدبية » على حد تعبيره ^(١) .

ثم تابع د. عبد الفتاح عبد الحليم هذه القضية بمجرد « الأهرام » في صفحة « الأهرام الأدبي » ، التي فتحت « ملف

(١) انظر د. الطاهر أحمد مكي / الأدب المقارن / أصوله وتطوره وسماجه / دار المعارف / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / ٢٩ - ٣٠ .

السرقات الأدبية » واستهلته بمقال للدكتور عبد اللطيف عنوانه « المازى وكامل حسي وسدور هل كانوا يعترفون بالحقوق المحفوظة للمؤلف ؟ » تعرض فيه لعدد من قصايا السرقات الفكرية والأدبية منها الاتهام الذى يلاحق كتاب الدكتور سندور « مماذج بشرية » ، وذكر مقالا نشرته مجلة « الأقلام » العراقية فى يناير ١٩٦٧م لعبد المطلب صالح بعنوان « هل الدكتور سندور هو المؤلف الحقيقي لكتاب : مماذج بشرية ؟ »^(١) ، ودراسة للأستاذة الإسبانية ماريا جيسوس بيحيرا نشرتها فى مجلة " Al - Menara " تحت عنوان « دون كيهوتى فى القند المصرى » ، فضلا عن السطور التى خصصها د الطاهر مكى فى كتابه « الأدب المقارن » ، وهى السطور التى لحصا ما جاء فيها قبل قليل ولم يكتف الدكتور عبد اللطيف بهذا بل دعا القاد وأستاذة الأدب الفرنسى ، وبخاصة الذين عددهم الأصل الفرنسى الذى سطا عليه د سندور ، أن يهتكوا أستار الصمت وأن يجهروا بالحقيقة ، بل ترفع أن ينحى بعض الدارسين عصر المحاملة ويضع رسالة صغيرة فى هذا الموضوع الذى يدخل فى مجال « الأدب المقارن »^(٢) .

-
- (١) وكان هذا المقال قد نشر قبل ذلك فى مجلة « الرسالة الجديدة » القاهرة (أبريل ١٩٦٥م / ٢٠ - ٢٢) . ثم أعيد نشره فى « الأقلام » العراقية مع بعض الإضافات والتصديقات الطمينة
- (٢) انظر د عبد المطلب عبد الحليم / المازى وكامل حسي وسدور هل كانوا يعترفون بالحقوق المحفوظة للمؤلف ؟ / صفحة « الأهرام الأدبي » ، بريدة « الأهرام » / الثلاثاء ١٩ مارس ١٩٩٦م

وقد ردت السيدة ملك عبد المزير (زوجة الدكتور مندور)
فركرت على ما نقله د عبد اللطيف من كتاب الدكتور مكى ولم
تعرض للأسف بشيء لمقال عبد المطلب صالح ولا لدراسة الأستاذة
الإسبانية ويتلخص ردّها على د مكى بأن حكمه هو مجرد انطباعات
عامة لا تقوم على أسانيد حقيقية ، إذ اكتفى ببعض الملاحظات
الحارجية كقوله إن كتاب « معادج بشرية » لا يشتمل إلا على
سمودج واحد من عبد ألكثور مندور نفسه هو نموذج « إبراهيم
الكاتب » وقد علّلت هذه الملاحظة الأخيرة بأن الأدب المصرى بل
الأدب العربى لحديث كله لم يكن فيه فى ذلك الوقت (١٩٤٠م -
١٩٤١م) إلا ثلاث روايات هى « سارة » للمقداد « ريس » ليهيكل
و « إبراهيم الكاتب » للمصارى أما بعد أن ظهرت روايات نجيب
محمود والسباعى وغيرهما فقد أصاب مندور إلى المعادج السابقة
عدة معادج أخرى مستفقا من أعمال هذين الكاتبين وغيرهما ،
وذلك فى كتابه « قصايا جديدة فى أدبا الحديث »

وفىما يتعلق بتماثل المعادج فى كتابى كالفية ومندور فإن
السيدة ملك عبد العزيز تعلّله بأن عيون الأدب العالمى التى أخذت منها
تلك المعادج معروفة للجميع ، كما أنها قتلت بحثا ودرسا وتحليلا
قل أن يتناولها زوجها ، ومن الممكن إذن ألا يكون فيما أنبى به كالفية

ومندور أى جديد . وعلى أية حال فقد كان الدكتور مندور ، كما نقول ، يقرأ أولاً الرواية أو المسرحية التى يريد أن يدرس شخصيتها الرئيسية مبوراً أى أثناء ذلك أفكاره ، ثم لا يرجع إليها إلا حينما يورد استشهدا . أما بعينه . وهى لا تستبعد أن يكون الدكتور مندور قد قرأ كتاب كالفين أو غيره من الدراسات التى تتناول ذات الموضوع ، ولكن هذا لا يعنى أنه سرقها ، وبخاصة أن ما كتبه يتسم بالأسلوب الحار والتمسك الشديد للمفرد والمواقف المتألفة التى تقوم على سبيلها التعقيبات الدكتور . أما بالنسبة للمصنف المتناول من مسرحية « رواج فيحارو » لموليير فهو يعنى لابد لكل من يدرس هذه المسرحية من الاستشهاد به كاملاً لأنه لب المسرحية وحكمتها الوحيدة . وفى النهاية ندعو الشاعرة الفاضلة أستاذة دار العلوم ألا يسرفوا فى اتباع المصنف القدي للعرب القدماء الذى يكلف بانهم الأدباء والشعراء بالسرقة وأن يكتبوا بما يؤثروه النقد الحديث من الكلام عن « التأثير » أو « توارد الخواطر » (١)

هذه زبدة ما قالته الأستاذة ملك ، وهو يستلزم بعض التعقيبات فقد رمت سيادتها أستاذة « دار العلوم » بأنهم بهجون بهج مقادير

(١) انظر ملك عبد العزيز ! مندور ليس أول انتهمين بالسرقات / صفحة « الأهرام الأدبي » . حربة « الأهرام » / الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٩٦م

القدماء فيعرفون في الاتهام بالسرقات الأدبية . ولست أدري الحكمة في تحصيص السراغة بذلك ، فهم يدرسون نفس ما يدرسه نحن في كليات الآداب من مباح ومواد . لأنه قد تصادف أن كان متبهما الدكتور مدور بالسرقة أستاذين من « دار العلوم » فأرأيت أن تعييهما كما عابا روحها ؟ أعتقد أن الجواب لا يمكن أن يكون إلا بالإيجاب ، وإلا فلماذا تجاهد الأستاذ عبد المطلب صالح والأستاذة ماريبا خيسومين ينجيرا ؟ ولقد كان د مكى ، في رده على هذه النقطة ، على حق حين ذكر من بين المتهمين المحدثين بالسرقة عبد الرحمن شكرى (الذى اتهم امرئى بسرقة بعض أشعاره من كتاب « الذخيرة الذهبية ») ، وعباس محمود العقاد (الذى اتهم د محمد كامل حسين بسرقة كتابه « وحدة المعرفة ») ، وكذلك الدكتور مدور نفسه (الذى اتهم إحسان عبد القدوس بأنه سرق إحدى قصصه من القصص المسماة « متاع رفيع »)^(١) ، وهؤلاء الثلاثة جميعا من غير أسماء « دار العلوم » وخطيئة الحال فإن قائمة المتهمين بالسرقة من أبناء الكليات الأخرى ممتلئة بالأسماء ، ومنعظا عما أن نشر على وجه العجبة إني محمود شاكر واتهامه للدكتور طه حسين بالسطو على

(١) انظر مقال « سادح » د مدور مأخوذة من كتاب كافي ما عدا مودجا وحدا / صفحة ١ الأهرام الأدبي « بجريدة « الأهرام » / الثلاثاء ٩ إبريل ١٩٩٦ م .

مقالة مرجليوت عن الشعر الجاهلي ، والمأربى والقضية التي رفعها ضد إبراهيم رمزي بدعوى السطو على أحد أعماله وتراجع فيها عن هذا الأخير د محمد لطفى جمعة ، ورمزي مفتاح وادعائه أن في شعر العقاد سرقات من صديقه شكرى ، وفؤاد ديارة وما كتبه عن أحد إسمان عبد القدوس إحدى قصصه من الكاتبة العرنسية فرانسوار ساجان ، وأساء الدكتور عبد الحليم الجار والقصة التي رفعها ضد د. رمضان عبد الثواب بتهمة بالسطو على ترجمة والدهم لكتاب « العربية » ليوهان فك ، وكذلك القصة التي انتدبت حبيرا فيها وكانت حاصة بدعوى رفعها أحد الصحفيين بتهمة كانوا للباريو بأنه سرق أقصرصة له وحولها إلى فلم إلح ، وهو ما يعنى أن رد السيدة ملك هو رد في غير محله ، بل هو رد العاجز الذى لا يجد ما يقوله سوى اتهام المتحدثين بما ليس فيهم لعله بذلك يشعلهم بالدفاع عن أنفسهم عما هم بسبيله كذلك لو كان الأمر على النحو الذى تصوره حرم الدكتور مدور لما وحدا القانون بهتم بهذه المسألة ولا رجال القانون يصنعون فيها الكتب ، مثل الدكتور أحمد سويلم الممرى ، الذى له فى هذا اعمال كتاب هام جدا بعنوان « حقوق » نتاج الذهبى ، والدكتور عبد الرشيد مأمون صاحب « الحق الأدبى للمؤلف » و « أبحاث فى حق المؤلف » ، والدكتور ميسور ، حلیم دور ، الذى كتب فى هذا الموضوع عدة دراسات منها « قراصة الفكر » ، والدكتور أبو اليريد المنيت مفسر كتاب « حقوق المؤلف الأدبية طيفا

للقانون ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ ، والدكتور مختار القاضى مؤلف كتاب « حق المؤلف » إلخ ، وذلك من القانونيين المصريين وحدهم . وأيا ما يكن الحال فالأمر ها يعمى أن يجرى على القاعدة المعروفة : « انظر إلى ما قيل لا إلى من قال » . وعلى هذا فعندما تهمة محدّدة موجهة إلى اندكتور مدور من الدراعمة ومن غير الدراعمة ، وعليها أن يفصل فيها ، وهو ما سوف نقوم به بعد قليل .

كذلك ادّعت الأستاذة ملك ، كما رأينا ، أن الأدب العربى الحديث لم يكن يعرف فى أوائل الأربعينات إلا ثلاث روايات نفريسا هى « ريب » و « إبراهيم الكاتب » و « سارة » ، وهو ادعاء عيس صحيح بنة وقد ردّ عليه د مكى وذكر عددا من الروايات المصرية قال إنها ظهرت قبل ذلك ، وهى « عودة الروح » للحكيم (١٩٣٣ م) و « أدب » لطفه حسي (١٩٣٥ م) و « القصص المسحور » له والحكيم (١٩٣٦ م) و « الحب الصانع » (١٩٤٢ م) و « أحلام شهر راد » (١٩٤٣ م) و « شجرة البؤس » (١٩٤٤ م) لعميد الأدب العربى و « قنديل أم هاشم » ليحيى حقى (١٩٤٤ م) و « مليح الأكبر » لعازل كامل (١٩٤٤ م)^(١) . ولكن يبدو أن السهو قد لعب لعبته ها فأورد الأستاذ الدكتور عناوين بعض الروايات التى ظهرت بعد مقالات مدور عن السمادح الشرية كما هو بين . ومع ذلك فهاكسا أن نصيب قصصا أخرى صدرت قبل مقالات

مندور مثل « فتاة مصر » ليعقوب صروف (١٩٠٥ م) و « فى وادى الهموم » محمد لطفى جمعة (١٩٠٥ م) و « عذراء ديشواى » لمحمود طاهر حقى (١٩٠٦ م) و « الشيخ سيد المييط » لمحمود تيمور (١٩٢٦ م) و « حواء بلا آدم » لمحمود طاهر لاشين (١٩٣٤ م) و « السوسطحي » ليحيى حقى (١٩٣٤ م) و « باب القمر » لإبراهيم رمري (١٩٣٦ م) و « عصمور من الشرق » و « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم (١٩٣٧ م) و « قلب عابدة » (١٩٣٧ م) و « مداء المنهول » (١٩٣٩ م) لتيمور و « عاصمة فوق مصر » لمصام الدين حمى ماصف (١٩٣٩ م) و « النقاب الطائر » لمحمود طاهر لاشين (١٩٤٠ م) و « عيت الأقدار » لحبيب محفوظ (١٩٤٠ م) وهذه ليست إلا أمثلة قليلة ، ومن الأدب المصرى وحده ، وللمشاهير ليس إلا ومع ذلك فقد عادت الأستاذة ملك فكررت هذه الدعوى بعد ذلك رغم تمسك د مكى لها ، وذلك فى حديث صحفى لها نال على رده عليها^(١)

وهناك نقطة ثالثة ردّ عليها د. مكى فثلاً به لم يشرها فى حديثه عن سرقة د مندور « معادجه الشرية » من كالثب ، ألا وهى الإشارة إلى الاستشهاد بالمرسول لروح الشهير فى مسرحية « رواح فيجارو »^(٢)

(١) انظر هذا الحديث بمران « شاعرة عيناك على نداء نصف قرن » / بعداد عطية انيسوى / مجلة الإذاعة والتلفزيون ، الست ١١ مايو ١٩٩٦ م / ٦٩

(٢) انظر مقال الدكتور الطاهر مكى فى صفحة « الأهرام الأدبي » - « الأهرام » / ١ - ٩ إبريل ١٩٩٦ م والواقع أن صاحب هذه الإشارة هو الأستاذ عيد - حسب ملاحظتي - مقالته بالسالف الذكر

ومع هذا فقد عادت الأستاذة ملك إلى ترديدتها في الحديث الصحفي التالي لمقال د مكى . ولست أستطيع أن أعرف السبب في عودتها إلى ترديد هاتين الدّعويتين رغم ردّ الأستاذ الدكتور عليهما . ترى ألم تقرأ ما كتب ؟ ألم تقرأ ما قرأته وسيته ؟ ألم يا ترى قرأته ولم تسمه ولكنها أرادت أن تُوقع في رُوع القراء أن الحجاج التي يستند إليها الدكتور مكى في اتهام روحها حجاج واهية ؟ ذلك أنه كان يسمى عليها ، إن أصرت على أن نكرر ما كانت قائلته من قبل ، أن توضح لماذا تعود إلى ترديده بعد الردّ عليه

كذلك ففي هذا الحديث الصحفي تتطرق الأستاذة ملك إلى أن السبب في اتهام علي روحها هو أنه لم يعترف بشاعرية علي الجارم (الذي يُتهم من السابق أنه كانت هناك حلقة عه في برنامج « مع اللفد » كان صيماها د الطاهر مكى و د عبد اللطيف عبد الحليم ، اللذين تعرضا ، ضمن ما تعرضا له فيها ، إلى اتهام د. مسدور بسرقة « محاذ بشرية ») ، ففهمت السيدة العاصلة أن الأستاذين الدكتورين قد هاجما روحها إرضاءً للدكتور أحمد الجارم ، الذي استضافهما لمحدث عن أبيه علي الجارم في الحلقة المذكورة

وبعيد عني أن يكون هذا هو سبب اتهام الأستاذين المذكورين بدكتور مسدور بالسرقة ، فقد سبق أن كتب هذان الأستاذان في هذا

الموصوع قبل ذلك ، فضلا عن أنهما (فيما يتخيل إلى) أحرص على سمعتها من أن يقولوا ما قالاه عن د. مدور مراعاةً لحاطر أحد من أسرة الجارم ، ثم إن القضية مثارة قبل ذلك بأعوام في مصر والعراق وإسبانيا ، فلا داعي من ثم للتمحُّك بهجوم د. مدور على شعر الأستاذ الجارم . وأحسب أن الدكتور الطاهر مكى هو آخر من استطاع اتهامه بمخالفة شاعر نقول الأستاذة ملث إنه كان شاعر الملك فاروق ، فاندكتور الطاهر بالدات كان إلى وقت قريب مُحْتَمًى به أشد الاحتفاء لَدُنْ من يسمون أنفسهم بالنقدسيين ، فكيف بالله يُحْسَب من الرجعيين ؟

كذلك أكدت السيدة العاصلة أن الدكتور مدور كان يعلى عليها ، وهو رائج حياء في العرفة ، « سادجه البشرية » من دهب مباشرة نريد أن نقول إنه لم يكن يمسك في يده ثناءها كتاب جان كالفيه ، ومن ثم فلا مجال للمقول بالسرقه . وهذه ، في الواقع ، شهادة كاتبة شهادة تخنّاج إلى محضر ومراجعة لرى مدى ما فيها من صدق ودقة ، وذلك بالرجوع إلى كتابي كالفيه ومدور والمقارنة بينهما ، وعندئذ نعرف طبيعة العلاقة بينهما . وهل هي مجرد تأثر عادي ، أم هل هي سرقة حقيقة ونكوز قول الأستاذة ملث إنها مجرد تأثر نوعاً من نخلة البصاعة كنسمة المرتش للرشوة « هدية » أو « عمولة » مثلاً

ومن جانب - عاد الدكتور الطاهر مكى . فكر أنه كان في

الجزائر مد عدة سنوات واطلع على كتاب جهان كالفيه فوجد أن هناك تطابقاً بينه وبين كتاب الدكتور مدور في الأمثلة والمصادح والأسماء وطريقة اختيار الشواهد ، ومعنى ذلك (كما قال) أن مدور قرأ كتاب كالفيه ونقله حرفياً وسبه إلى نفسه ثم أصاب أنه بصدد البحث عن كتاب الأستاذ المرسي لمقارنته بكتاب الدكتور مدور ، وعبدئذ سيكون الحكم للمقاد والأدباء ^(١) وكان الأستاذ الدكتور قد قال في كتابه « الأدب المقارن » إن كتاب كالفيه قد صدر في ثلاثة أجزاء اتسان منها يحتويان على مصادح من الأدب المرسي ، والثالث على مصادح من الآداب الأوروبية الأخرى .

والواقع أن هذه القضية قد شعلتني مد أن أثبت . شعلتني أولاً الشعلان العام الذي ينفج لأمتلئ من المهتمين بحكم تخصصهم بالحركة الأدبية والمقدية ، ثم راد هذا الشعلان في السنة الأخيرة بعمل بعض الظروف الخاصة ، فظنفت أبحث عن كتاب كالفيه في كل مكان إلى أن وجدته عند أحد الأصدقاء عاشعته مه ررحت أقلب صفحاته أولاً لأعرف المصادح المشتركة بينه وبين كتاب الدكتور مدور فوجدت أنها لا تعدو أن تكون أربعة هي « جفروش » و « ألكست » و « جولييان سوريل » و « رانتيك » ، على حين أن في كتاب مدور ثلاثة عشر مصودحاً أوربياً آخر لا وجود لها عند كالفيه ، وفي كتاب

(١) نظر مقال محمود مطر « بعد رحيلهما بنوات : محمد مندور وعلي حجارم محمود » في « دائرة الضوء » لسنة والتحريرج « / مجلة الإذاعة والتفسيرون / ١ - ٦ يوليو ١٩٩٦م / ٧٤

هذا لعمامة نماذج لا توجد في كتاب مندور ، فعدت أسأل صديقي صاحب الكتاب عن السر في هذا فقال إن الكتاب الذي أعارنيته هو جزء من أجزاء ، وأنه هو الجزء الوحيد الذي استطاع الحصول عليه من فرنسا بعد جهد طويل مُضْنٍ لكى لم أكتف بهذا وهائمت الدكتور مكى فأكد لى ما سمعته من الصديق المذكور . ولما راجعت كتابه « الأدب المقارن » والمقالات التي نشرت حول هذا الموضوع في الصحف وجدته يقول الشيء ذاته ، فعدت أسأل بعض من أعرف من أساتذة الأدب الفرنسي في الكلية ، هل طلبت من أحد تلاميذى السابقين عن يتعاملون مع الحاسوب أن يجمع لى من الإنترنت كل ما يقدر على جمعه من معلومات عن ذلك الكتاب فلم يظفر بباطل وكنت قد تسبعت إلى أن الحرة الذى معى إنما هو الجزء الثانى من الكتاب ، وبرق فى ذهني أن أبحث عن باقى الأجزاء فى مكتبة الدبر الدومينيكاني بالعاصمة فوجدت الحرائر الحاصيين بالأدب الفرنسى (ط ١٩٣٢م) ، وعشرت فى أولهما على ثلاثة مباح أحسرى موجودة أيضاً فى كتاب مندور ، وهى « فيحارو » و « ترتران الترسكووى » و « بتلان » . فهذا هو وضع القصص مدنياً ، وعلى ذلك فسوف تكون المقاربة بين ما قاله كالفيه ومندور فى هذه المباح السبعة فحسب^(١) إلى أن يقع فى يدى كتاب كالفيه الآخر الحاص

(١) واللماسة ليس فى كتاب « مندور من « مباح « الأدب الفرنسى إلا لعمامة هذه اللمة ، ونموذج « فيليسيه » ، الذى لم أجد فى كتاب كالفيه

بالتعمادج البشرية في الآداب الأوروبية . وعنوان كتاب كالفيه الذي
 عثرت عليه هو " Les Types Universels dans la Littérature Française " ^(١)
 " Fernard Lanore " ، وهو صادر عن دار " باريس " ، أما طبعته : نماذج بشرية « التي هي يدي فهي الطبعة
 الرابعة ، وقد صدرت عن « دار نهضة مصر » بالقاهرة دون تاريخ .
 والآن وقد أصبحنا أمام الكتابين وجها لوجه أحسن أن القراء
 متعطشون إلى أن يسموا النتيجة التي وصلت إليها . وسوف أكون عند
 توقعهم فأبادرهم بالحكم الذي كوّنته من خلال المقارنة بين الكتابين
 على وجه الإجمال لأنني عليهم ثم أعود فأفصل القول في ذلك .
 وهذا هو الحكم الإجمالي :

أولا : المصومان متشابهان جدا كما هو واضح .

ثانيا : هناك سمة نمادج مشتركة على الأقل بين الكتابين
 كما سبق أن وضحا .

ثالثا : عدد الصفحات التي يشتمل عليها كل فصل في كتاب
 كالفيه أكبر من مثيلاتها في كتاب مدور ، وقد نصل إلى الصنف .

(١) استحدثت في الجزء الأول طبعة ١٩٢٢ م ، وفي الجزء الثاني طبعة
 ١٩٦٤ م .

رابعا . لاحظت أن الدكتور مدور قد أخذ ما كتبه المؤلف
الفرنسي بنصه (في معظم الأحيان) أو بعد أن لخصه (في بعض
الأحيان فقط) .

خامسا ترك الدكتور مدور ما توسع به الأستاذ الفرنسي حين
كان يتبع الشخصية موضح الدراسة في أعمال الأدباء الآخرين

سادسا المصوص المقتبسة عن مدور هي هي بعضها في
الكتاب الفرنسي (في أغلب الأحيان) أو ملخصة (في القليل
منها) ، ولم يحدث أن نقل د. مدور أى اقتباس آخر غير ما في كتاب
كالفيه .

سابعاً لم يصف مدور إلى ما قاله كالفيه سوى بعض سطور
هنا أو هناك ، وبخاصة في بداية الفصل رحابته ، وهي عبارة عن
كلام عام أو تعليق خاطف .

ثامناً توجد أخطاء غير قليلة في الترجمة

تاسعاً . من اللافت للنظر أن مدور في الممدوح البشرى
المصري الوحيد قد أشار إلى أرقام الصفحات التي نقل عنها من
رواية « إبراهيم الكاتب » ، أما في الممدوح الفرنسية فلا ، ولهذا دلالة
التي لا تحصى

هذا هو الحق ، الإجمالي ، أما تفصيله فهو مراد ومبيد

بسمودج « جفروش » ، وهذه هي الملاحظات التي خرجنا بها :

يفتح الدكتور مدور الفصل الذي خصصه لهذا العنصر بالكلام عن الخلق الأدبي ومسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » للمسرحي الإيطالي بيرانديللو مشيرا إلى أن الشخصيات الأدبية تتمتع بالخلود بل تبقى على الرمن أطول مما يبقاه البشر ، ثم ينتقل إلى الكلام عن جفروش أحد أبطال رواية « البؤساء » لهيجو وكيف أنه لم يكن يعرف مواضع الأخلاق التي تعارف عليها الناس ، إذ كانت حياته خروجاً على هذه المواضع وسحراً بالقوانين ، ولم يكن يحس بما نسميه وخزات الضمير^(١).

وفي العقرة الثانية من الفصل الحاضر بذلك السمودج عد كالفيه نجد كلاماً عن خلق هيجو لسمودج جفروش ، الذي أصبح شخصية خالدة ، والذي تحول اسمه من اسم علم إلى اسم جنس^(٢) ، وهي فكرة سيردها مدور بعد قليل حين يقول : « هذا هو جفروش كما يعرفه كل الفرنسيين وكل من يتكلم الفرنسية حيث خلدت اللمة هذه الشخصية الأصلية الجذابة بأن أدخلتها بين مفرداتها كاسم ذات وكصفة ، وهم يدعون الرجل « جفروش » C'est un gav-

(١) نماذج بشرية / ٢١ - ٢٢ .

(2) les Types Universels t. II, p. 161

roche ، كما يصفونه بتلك الروح التي صورها : " Il a l'éspit gavroche ، وليس بعد ذلك دليل على حلول هذا الأسود لمشرى بين ما خلق الأدب من مصادح " (١) . كذلك فإن حديث سدور عن حروح هذا الصبي على مواضع المجتمع وقوانينه موجود بعينه عند كالفيه وهذه هي عبارته : " يشتهر صبيان باريس بلامبالائهم بقوانين المجتمع وتقاليدهم وبلتهم المحطة .. إلخ " (٢) .

أما بقية الفصل عند سدور فكلها تقريباً اقتباسات من رواية هيجو أو تضييع لبعض أحداثها التي تبرز فيها بطولته هذا الصبي حفرش ، وجميع ذلك موجود في الدراسة التي وضعها كالفيه لا يكاد سدور يبردها شيئاً ، وإن كانت عند كالفيه بقول أخرى وتعليقات لم يوردها سدور في كتابه . فمثلاً يقول سدور بعد أن نقل بعض المقرات التي استشهد بها كالفيه في وضعه أفعال باريس المشردين : " ولشئ حفرش قليلاً في أرفة باريس وهو يبحث عن عشائه ، وهي نفس المارة التي قالها كالفيه تمهيداً لمراقبته حفرش في رحته بحثاً عن الطعام " (٣) ، ثم يهمل سدور بعض الأسطر ليصل إلى كلام كالفيه عن الحديث التي يلعبها حفرش فيقبله ملخصاً مع بعض

(١) مصادح بشرية / ٢٧ .

(٢) Les Types universels, L. II . p. 161

(٣) ص ٢٣ عدد ٠ ، ص ٤٤ في الجزء الثاني - ص العرسى

الأخطاء التي سنشير إليها حالا ، أى أنه لا يكتفى بنقل استشهادات كالفية كما هي بل يأخذ أيضا تلخيصاته وتعليقاته من مثل وصف الأستاذ العرنسي لجفروش بعد أن سرق محفظة النقود من موبارناس وألقى بها من فوق سباح الحديقة للأب مابوف بـ « أنه فان » ، إذ يرى مندور يردد نفس الوصف قائلا إن « مزاجه مزاج فان » ^(١) ، وكنقول كالفية عن جفروش إنه حين يأتي ما يأتيه من خير لا يتبع تفكيره بل ينساق وراء وحى عريزته ، وهو ما يجده عند مندور في قوله إنه « لا يعرف للشعر أو للخيير معنى ولا يأتي بهما عن حساب أو تقدير ، وإنما هي طبيعته تسوقه إلى ما يفعل » ^(٢) ومثل ذلك عبارة مندور التي يقول فيها عن معامرات جفروش الصغيرة إنها « لا تُظهر ما بنفس هذا الطفل الحائر من عسى ، وأما اليوم الذي تجلّت فيه ثروته الروحية فكان يوم ثورة سنة ١٨٣٢ » ، فإنها ليست شيئا آخر غير قول كالفية في نفس الموضوع « ولكن كان لا بد له من ظروف استثنائية كي يستطيع غشى شخصيته أن يعبر عن نفسه بكل طاقته » ^(٣) ،

(١) آخر العقدة الأولى من ص ١٦٥ من الجزء الثاني في الأصل العرنسي ، ومتنصف العقدة الثانية في ص ٢٤ عند مندور .

(٢) آخر العقدة الثانية في ص ١٦٦ من الجزء الثاني من كتاب كالفية ، ونظير ذلك في ص ٢٤ عند مندور .

(٣) العقدة الثانية من ص ١٦٧ من الجزء الثاني من كتاب كالفية ، ونظيرتها في ص ٢٥ عند مندور .

يقصد ثورة ١٨٣٢ م كذلك فعندما يقول مدور معلقا على حلّو
البيدقية التي وجدها جفروش أثناء الثورة من البارود : « لعل هيجو لم
يشأ أن يجعل منه سفاكا للدماء » نجد أن هذه هي نفسها عبارة
كالفيه^(١).

والدكتور مدور حين يترجم ما استشهد به كالفيه من اقتباسات
قد ينصرف فيها فيحذف بعض التفاصيل أو يترجم بعض العبارات
ترجمة غير دقيقة تماما أو يقدم فقرة ويؤخر أخرى . فمثلا لم يترجم
عبارة هيجو التي تصف طعل باريس^(٢) بأن « سنه تتراوح بين السابعة
والثالثة عشرة »^(٣) ، وكذلك وصف الحملالة بالصغيرة (بعد ذلك
بثلاثة أسطر) كما أنه قفز ، بعد الفقرة الأولى من الصفحة الثالثة
والعشرين ، فوق فقرة كاملة في الأصل الفرنسي (وهي الفقرة الثانية
في ص ١٦٢) ، وهذه أمثلة للتوضيح لا أكثر . أما الأخطاء فمنها
ترجمته لكلمة " un bambin " بـ « النحادين » ، على حين أنها
تعنى « الطعل / الأطفال »^(٤) ومنها قوله ، في وصف المعركة التي
دارت بين المعجوز والشاب عبد الحديقة ، إن الشيخ قد أنهض
الفتى « أحذا بتلابيه كما يفعل قط بعار » ، بينما عبد كالفيه أنه

(١) ص ٢٦ عد مدور ، وأصل ص ١٦٨ في الجزء ، انظر عد كالفيه

(٢) أطفال باريس ، عد مدور ، والمسمى واحد في النسخ

(٣) السطر السادس من ص ١٦٢ في الجزء ، الثاني من نص الفرنسي

(٤) ص ١٦٢ في جزء الثاني من الأصل الفرنسي ، ص ٢٣ عد مدور

« قد أمسك بذراعيه في قبضة واحدة » ومنها هذا الخطأ الشنيع الذي تحول فيه تمثال الفيل الصخري الذي نحيله بابلويون إلى تمثال لبابلويون نفسه قال مدور إن جفروش قد مهد للطفلين التائهين عند ساقه مصجعا ينامان فيه مستعيا في ذلك بما يسرقه من أحشاش السياج الحامض بحديقة النباتات . أما تصويب ذلك فيستلزم أن نقل عبارة كالفية بصها ، وهذه هي : « وما أشرقت في عقل جفروش فكرة عبقرية ، إذ كان هاك في ركن معزل من ميدان الباستيل تصميم خشبي لُصِبَ هائل من بنات حبال بابلويون ، وهو عبارة عن فيل يرتفع في الحوز أربعين قدما ويحمل فوق ظهره برجاً يشبه منزلا من المارل . وكان يحيط بهذا الوحش سياج متداع ولم يكن هاك من لا يرل يذكر هذا التمثال أو يلتم به سوى جفروش ، الذي وضع ساكبه داخل حائلي الحيوان . لقد بُتَ سلما إلى بطس العيل حيث أحدث فتحة ووضع الصبيين في ركن يجدان فيه الحماية من أذى الجردان بواسطة شبكة من الحديد سرقها من حديقة النباتات »^(١)

ويرى القارئ الكريم كمّ الأخطاء الفادحة التي ارتكبها د. مدور في فهم هذا النص السهل القصير ! والمثل يتحول عنه محل بيع الأشياء القديمة إلى « مخزن أسلحة »^(٢).

(١) الفقرة الثانية في ص ١٦٦ من الجزء الثاني من كتاب كالفية ، والفقرة

الثالثة من ص ٢٤ عدد مدور .

(٢) الفقرة الثالثة من ص ١٦٧ في الجزء الثاني من الأصل العرسي ،

وطيرتها في ص ٢٥ عدد مدور .

وإذا كان مندور قد وقع في فصله الذي نحن بصددده عند جفروش « البؤساء » فقد مضى كالفية في الصفحتين الأخيرتين من فصله عن « جفروش » (ص ١٧٠ - ١٧٢) يتتبعه في أعمال بعض من أتوا بعد هيجو من الكتاب الفرنسيين وتناولوه في صور أخرى

بما تقدم يتضح لنا أن مندور ، فيما كتبه عن نموذج جفروش ، لم يكن يأتى بشيء من عبده إيسا هو ناقل ، وفي بعض الأحيان ملخص ، لما قاله كالفية . ويصاف إلى ذلك أن فهمه لما ترجمه أو لخصه لم يكن دائما بالمهم السليم أو الدقيق



فإذا انتقلنا إلى نموذج « فيجارو » سوف نجد مندور في أول الفقرة الثانية من ص ٢٨ يقرر أن هذا الشخص هو أحد من مهدوا للثورة الفرنسية ، وهو ما يجده عند كالفية ، الذي يقول إيسا دائما في نهاية الـ " folle journée " عظم الثورة التي توشك أن تبدأ ، إذ لا ريب في أن « رواج فيجارو » هو أول أحداث تلك الثورة ^(١)

وعند مندور نقرأ أن سحرية فيجارو « هي انتقام مر من نظام بلغ من فساد أنه كان الشعب يسعى إلى هدمه دون أن يفكر فيما يريد أن يقيم على أنقاضه من نظام » ^(٢) ، وهو ما لا يمدح عن قول كالفية عن مؤلف فيجارو من أنه « كان هو أيضا رجلا من رجال تلك الفترة

(١) Les Typs - nve. sels, t. I, pp. 192 - 19٠

(٢) د. محمد مندور - نماذج بشر - ٢٨٠ .

المعجبة التي كان يشعر فيها الناس بأن ثمة مجتمعاً يتمتعك دون أن يفكروا في النظام الذي سيجل محله عندما يتحول إلى أنقاص» (١).

وفي المقارنة بين فيجارو وجيل بلاس (بطل إحدى روايات الكاتب المرسى لوساج) يقول د. مندور : « لو أن فيجارو أراد لوصل إلى ما وصل إليه جيل بلاس من قبل ، ولكنه أبى النفس يرفض أن يجيل مع الرياح ليمر على عمقه رجال جاءتهم الأقدار على غير فصل فيهم أو رفعهم حمقى الشر فوق ما كان يحب أن يتقيهم انصاع نفوسهم » (٢) وتساءل عن السر الذي جعل مندور يفكر في مقارنة فيجارو بجيل بلاس بالذات ، بيد أن السر سرعان ما ينكشف عندما نجد أن كالثبة قد قرئ من قبل بين هاتين الشخصيتين وقال بعض النكلام . فليست إذن « إن فيجارو هو أحو جيل بلاس . ولقد دخل الانسان كلاهما إلى الحياة وعتمتع دون مقومات الوجود ولاحظا مسيرته وكما شاهد بين عبي الشر والماء الإسيبي اللذين استعلاهما لكي يعيشا وحكما عليهما دون رافة . ولكن بعد مرور الوقت استطاع جيل بلاس أن يتكيف واصفا بذلك يده على سر الوصول . وها هو ذا بعد وصوله يصبح أكثر تسامحا . أما فيجارو ، الذي بدأ من مستوى اجتماعي أخط ، فإنه لم يصل إلى ذات المنة التي بلغها بلاس ، إلا أنه كان يحظى تحت يدنة الحادى شخصية أقوى واستعلالا أكبر . وقد استعاد هو أيضا من عيوب النظام الاجتماعى ، لكنه كان يشقدها

(١) I. p. 176 .

(٢) ص ٢٩ .

بوقاحة ، كما وضع نفسه فى نفس مستوى كبار القوم بوساطة
السخرية ، ذلك السلاح الذى يفوق فى تحقيق المساواة بين الناس كل
ما يتحيلون^(١) . وبالنسبة فإن د مدور قد كرّر فى الفصل الذى
نحس بصدده كلمة « الوقاحة » عدة مرات ، وهو داته ما فعله كالفيه
قبله فى الفصل المناظر . على أن تمة شيئاً مهماً تجده عند كالفيه ولم
يتصرح له مدور ، ألا وهو السب فى هذا الاختلاف بين الشخصيتين ،
إذ يعلنه كالفيه باختلاف العترة التى عاش فيها كل مهما والروح التى
كانت سائدة فيها^(٢) .

ويتحدث مدور عن أصل فيجارو وكيف التقى به بومارشيه
والكتب التى ألغها عنه فجده ذات الحدث الذى تخدنه كالفيه يقول
مدور : « ولّد فيجارو ابناً طبيعياً لطبيب وسادته وتخلّى عنه أباه وسط
أسواق الحياة مرأول الطفل كل المهس احتيالا على الحياة العشوم ،
وبخاصة مهنة الحلاقة . وبلغ من نجاحه فى تلك المهنة أن أصبح كل
حلاقى الأرض يحملون اليوم ذلك الاسم . ولقّبه المؤلف بومارشيه وقد
سّم مهنته ، ومنذ ذلك اليوم أحبه فصاحب حظاء فى الحياة ، وقص
عليه نبأه فى روايات مسرحية ثلاث : « حلاق إشبيلية » و « رواج
فيجارو » و « الأم الحانية » . وقد منّلت الروايات لثلاث تناعاً فى سى
١٧٧٥ و ١٧٨٤ و ١٧٩٠ . ومرت السون وفيجارو يجالّد الحباء وهو

(١) t. I, p. 175 .

(٢) t. I, pp. 175 - 176

هو ذلك المرح صاحب الـدى يلتبس فى كل ألم حائسه المضحك
 واشمرت الأيام ، وكل ما فيها من ألم لا يستطيع أن يحلّف فى نفسه
 غير ابتسامة هادئة . وأما العد فما كان يعنى بأمره . وما له سلاح غير
 تلك السخريّة يرميها سهامها لمى يعمّه بسوء فيبلغ ما يريد من خصمه
 دون أن يترك جراحا ظاهرة ^(١) .

ويقول كالفيه . « تصوّر المسرحية لنا هذا الفيحارو ابنا طبيعيا
 لبارتولو الطبيب ومارسيليس الحادمة اللدين نحليا عه وفقداه فى زحام
 الحياة حيث امتهى كل المهى ، وبخاصة مهنة الحلاقة ، التى أحرز فيها
 من النجاح ما جعل كل حلاق مد ذلك الحب يسمى « فيجارو » ،
 وذلك قبل أن يصبح حادما لدى الكونت ألمانفيشا . وقد رسم له بومارشيه
 ثلاث صور فى « حلاق إشبيلية » وفى « رواج فيجارو » . وفى
 « الأم الحانية » ويستطيع الإنسان ، فى حلال متابعته لهذه
 المسرحيات حسب الترتيب الذى ظهرت به على خشبة المسرح
 (١٧٧٥ م و ١٧٨٤ م و ١٧٩٠ م) ، أن يدرس التطور الذى أصاب
 هذه الشخصية . وفى « رواج فيجارو » يبدو لنا بطلنا فى شخصيته
 الأساسية ألا وهى المرح التلقائى ، والمهارة فى استخلاص البهجة
 من كل شئ حتى لو كان فى هذا الشئ إساءة لنا ، واللامبالاة التى
 تبعث على احتقار متاعب الماضى وتمنع من التفكير فيما يدّخره

المستقبل من آلام . إنها الروح المبتهجة المدفوعة المحنحة التي تتطلق منه كالسهم بمجرد أن يمسسه أى إنسان ناشئة في حلد محدثه خادشة إياه خدشا صغيرا يكفى لإيقاظه لكنه لا يسب له أية جراح^(١) . ترى هل أنى مندور بشيء لم يقله كالثقب ؟ وهل هذا الذى قاله د . مندور هو مما يمكن أن يوصف بأنه أفكار وتسميرات عامة تستطيع أن تحطر لأى إنسان ؟

وحين يقدم لنا د . مندور فيجارو يقدمه بهذه الكلمات : « ها هو حلاق إشبيلية يقفز إلى المسرح وكأنا يعلو صبرا ، وها نحن نراه أول ما يبدو فى أحد شوارع إشبيلية وقد علق فى ظهره قيثارته بشريط عريض من الحرير ، وها هو يوهم نفسه أنه قادر على كتابة أعنية يشيد فيها بالحمير والكلب اللذين يفتسمان قلبه ، وها هو يعثر مصادفة بالكوت أداليفيا أحد ربائه القدماء فيقص عليه ما كان له من أحداث كصبي بصيدلية وكتمتل مسرحى فيسأله الكوت لماذا ترك مدريد ؟ فيجارو : هو طالعى السعيد يا مولاي إلح »^(٢)

وقد جرى مندور فى هذا على نفس الطريقة حتى قدمه إليها به كالثقب ، الذى يقول « يظهر لنا فيجارو فى أحد : راع إشبيلية وعلى ظهره جيتار مربوط بشريط عريض وه هو ذا يمس فى مسرح وفى يد ورق وقلم ، وقد أحد يحاول إثارة قريحته ويتلقى بنظم أعنية عن

1) L. I. pp. 177 - 178 .

الحمير والكل لندين يقتسمان قله ويشر مصادعة بالكوت ألتافيا ،
الدى كان يعرفه من قبل فى مدريد فيقص عليه تاريخ حياته المليء
بالمغامرات أو أحداث المرعبة التى كان هو أول الصاحكين منها لقد
ذوق الكثير من مرارات الحياة صيبا فى صيدلية ومؤلفا دراميا يسحره
الجمهور ، وانتهى أمره بإعلان مصادته ، إذ يجيب الكوت الذى سألته
عن السبب الذى حدا به إلى ترك مدريد قائلا : إنه طالعى السعيد يا
مولاي ! (١) .

ومن الواضح انحنى أدب صدور لم يضع شيئا من عنده سوى
القول بأن الشرب الذى كان مربوطا به التجنار كان من تحرير . أما باقى
الكلام فقد أذاه كما قرأه عبد كالفية بالحرف ، حتى السؤال الذى
طرحه الكوت على فيجارو عن سبب تركه مدريد أورد د صدور
بصيغة الكلام غير المباشر كما هو فى كتاب كالفية ، إذ لم يقل إن
الكوت قد سأل قائلا : « ما الذى حملك على ترك مدريد ؟ » بل
قال (كما قال الأستاذ العربى) : « يسأله الكوت لماذا ترك
مدريد ؟ » وإن جاءت ترجمته لجملة *et s'encourageant lui-même à avoir de l'esprit il s'amuse à faire une chanson sur le vin et la paresse* ، إذ جعلها
هكذا : « وها هو يوهم نفسه أنه قادر على كتابة أعية » ، على حين
أنها أقرب ما تكون إلى ما جاء فى ترجمتى
وصف د صدور سرعة حركات فيجارو وجعلتها وما تنطوى

(١) L. I, pp 178 - 179

عليه تصرفاته من معاجاة غير متوقعة قائلا إنه « كسلمات الريح تحس بها ولكن لا تستطيع لها لمسا . وإنه لأهون على من يريد أن يمسك بنضمة من قيثارة فيجارو من أن يمسك بالرجل . وما لشخصه من وجود مُحسن أكثر مما لأعياه التي تشيع في الفضاء . تراه في المرل وما تدرى من أين دخل . تعلق الباب هيأتك من السافذة . تحسه بالداخل بينما هو في الخارج . أليس هو فيجارو مصرب المثل في الحمة والمهارة ؟ أليس هو فيجارو الذي يعرف كيف يستفيد لا من أخطائه فحسب بل ومن أخطا الآخرين ؟ » ^(١) ، لكسا حين يعود إلى كاتفيه نجد أن كاتبا المصرى لم يفعل شيئا أكثر من أنه فتح كتاب المؤلف العربى ونقل ما فيه مع شيء من الاضطراب في مسح بعض العبارات. يقول كاتفيه . « ها هو ذا فيجارو ، كما سيكون طوال حياته ، يتوقد نشاطا ويقمر ولا يعرف السكون ، حتى إنه لأسهل على الإنسان أن يمسك وهو غائر بعممة من قيثارته . وليس له من الوجود أكثر مما للأعاني التي يدبدها . إنه يدخل ويخرج دون أن يعرف الإنسان كيف . وعندما تكون الأبواب معلقة فإنه يتسلق من خلال النافذة . وهو يكون بالداخل بينما يعتقد الناس أنه بالخارج . وله من المرونة والنشاط ما يمكنه من الاستعادة من أخطائه مثل استعادته من أخطاء الآخرين » ^(٢) صحيح أن د. مدور يصف « الأعاني » بأنها الأعاني « التي تشيع في الفضاء » ، على حين أنها في الأصل

الفرنسي « الأعمى الذى يذهبها فيجارو » ، وصحيح أيضاً أن مندور يقول « تراه فى المنزل فلا تدرى من أين دخل » بينما فى النص الفرنسى : « إنه يدخل ويخرج دون أن يعرف الإنسان كيف » ، بيد أن هذا أمر غير دى بال . أما الذى أريد لفت النظر إلى ما أصابه الاضطراب من كلام مندور فهو قوله : « نخبه بالداحل يسما هو فى الحارج » ، الذى عكس الوضع ، إذ إن الأصل الفرنسى يقول ما معناه أن فيجارو يكون بالداحل على حين يظن الناس أنه بالحارج . ومثل ذلك الجملة الأخيرة فى النصين . فاستعادة فيجارو من أخطاء الآخرين هى الأصل فى النص الفرنسى ، ثم قيس عليها استعادته من أخطائه هو ، أما عد مندور فالمعكس .

وتبقى الاستشهادات التى يوردها د مندور ، وهى فى الواقع لا تخرج عما نقله كاتفيه فى كتابه من المسرحية المذكورة . وقد سبق أن سقا أحد هذه الاقتباسات الاقتباس الذى يبدأ بقول فيجارو : « هو طالعى اسميد با مولاي » . وهناك نص آخر من أربعة أسطر فى أول ص ٢٩ من النص العربى عبارة عن حوار بين «كوت وفيجارو» وهو موجود عند كاتفيه فى منتصف ص ١٨٩ ، ويشغل أربعة أسطر أيضاً . أما النص الثالث الموجود فى أوائل ص ٣٢ عدد مندور ، وأوله قول الكونت « مادا بلوح على كل ما تفعل شيء من الالتواء » ، فيستطيع القارئ أن يقرر عليه بدءاً من «فقرة الثالثة من ص ١٩٠ هى الجزء الثانى من الكتاب الفرنسى . وينشئ الاستشهاد الرابع والأخير فى كتاب مندور ، وهو يبدأ مع بداية الصفحة الثالثة والثلاثين ، انتهى يكاد أن يستغرقها كلها وهذا الاستشهاد موجود فى ص ١٩١ من الجزء الثانى من النص

الفرنسي ، وإن كان هناك أطول منه عند مندور ، لأنه لم ينقله من كالفيه كاملا بل أسقط كثيرا من عباراته

هذا ما أحده مندور من كالفيه في المصل الخاص بتعويض « فيجارو » ، وهو يكاد أن يكون كل شيء ذي قيمة في هذا الفصل ، أما الباقي فلا يقدم أو يؤخر ، أو على الأقل لا يقدم ولا يؤخر كثيرا ، فما هو في الواقع سوى بعض الجمل المثيرة هنا وهناك مما لا دخل له في صلب الموضوع أو أفكاره الرئيسية .



أما بالنسبة لمودح « أليست » فالطيران الأولان اللذان يبدأ بهما مندور المصل الخاص به هما هما ما جاء في الفقرة الأولى الصغيرة عند كالفيه : « مندور يقول » « أليست بطل كوميديا لمولير اسمها » « عدو البشر » ، ولكن هذا المراء لا يستبعد كل ما اجتمع لتلك الشخصية من صفات « (١) » ، وهو نفسه ما يقوله كالفيه موسعا بعض الشيء ، وهذا هو نص كلامه « لقد جعل لمولير عبارة « عدو البشر » عنوانا للمسرحية التي يملؤها أليست بحصوره وكلامه المتهيج ، إلا أن هذه التسمية لا تبتعد كل شخصيته التي تشبه الحياة في تعقيداتها وامتلائها بالتقابلات والتناقضات » (٢) . وكما يرى القارئ

(١) تمارج بشرية / ٨٤ .

(٢) les Types Universels, t. II, p. 23 .

لم يأت الدكتور مدور بشيء هنا سوى أنه لخص فكرة كالفين . ثم
 يلي ذلك عدة السؤال التالي : أيهما أفضل : « أن نحيا حياة أليست
 موطنين العزم على ألا نقول إلا ما نؤمن به بل وأن نقول كل ما نؤمن
 به ولو كان في ذلك شقاؤنا وأصبحنا به موضع سخرة الناس أجمعين
 أم يصانع الناس ونداريهم وننزل على مواضعهم الاجتماعية مهما يكن
 خلفها من ملّتي وبناتي كما فعل فيلات صديق أليست في نفس
 المسرحية ٩٩ » ، وهو موجود بالملصق عند كالفين في الفقرة الثانية من
 ص ٢٣ ولكن موسّعا أيضا ، وهذا هو نص كلامه : « أليست رجل
 يبيل دخل إلى الحياة بصميم نقي سليم ثابت على مبادئه . وقد أخذ
 العهد على نفسه ألا يقول الكذب في أية صورة من صورها مهما يكن
 الأمر بل يطق بالحق في جميع الأحوال لقد رأى أن الكذب أصبح
 فاشيا وأن هتّث أقبحته هو عمل لا يصل الإنسان منه إلى نهاية .
 وكذلت لاحظ أن قول الصدق هو ، في نظر قطاع كبير من الحلق ،
 بمثابة تعرض العرس للاغتتيال ورغم أنه كان لا يزال شابا صغيرا فقد
 كان عنده الوقت الكافي للمماناة من موقعه هذا . بيد أنه ، لصلابة
 طبيعته ، ظل متمسكا بقوة بمبادئه التي كانت سببا في هذه المعاناة » .
 وبعد قليل سوف نرى مدور يقل هذا الكلام بصبه ، وذلك بدءا من
 السطر الثاني من الفقرة الثالثة في ص ٨٧ حين يقول : « دلف إلى
 الوجود بصميم نقي صلب ، وقد وطد النفس على مطاردة الكذب أي

كان ، وعلى الجهر بالحق في كل مجال ولم يجب عنه أن الكذب ملء الآفاق وأن مهاجمته تتطلب جهدا لا يقصى ولقد حدث عما في قول كل الحق من حطوارة على قائله وعلى العبر ، ولكن قوة ضميمته تأبى أن تلبس « وكما ترى فالكلام واحد ، وإن كانت ترجمة مدور أكثر حرية (أو قل أقل دقة) في الجمل الأخيرة

لم يمسى مدور فيتحدث عن وقوع ألبست في عرام سيميلين اللعوب المنتصعة الكلمات والإشارات والأصابع والتي هي بمثابة أكذوبة تتحرك ، وعن سقطه على نفسه لوقوعه في مثل هذا الحب الذي هو حياة لمبادئه وهو نفسه ما يقول كالفية في الفقرة الرابعة من ص ٢٣ بقصه وقصيفه .

بعد هذا يبدأ كالفية في تلخيص أحداث المسرحية ، ويمسئ مدور في أثره خطوة خطوة مرددا ما يقوله وسفس الطريقة ، إلى أن يصل الأمر إلى استشهاد بعض من المسرحية فيمنشده به هو أيضا بافلا التعليقات التي يرجحها كالفية بين الحين والحين كما هي ^(١) كل ما هالك أن كالفية يتوسع في القول دائما ، ومدور يقتصد فيه أحيانا ، كما أن كالفية يتطرق إلى أعمال أدبية أخرى مدور حوز شخصية مثل

(١) راجع من أول ص ٢٤ من الجزء الثاني في شعر المدسى ومن أول ص ٨٨ في «ملاحج بشرية» .

شخصية ألسنت ، وهو ما لا يفعله مندور .

وعلى الناحية الأخرى نجد عند مندور في ص ٨٤ - ٨٥ مثلا
فقرة طويلة بعض الطول نليها فقرة قصيرة لا يقابلها شيء في كتاب
كالفية ، وهما المعقرنان اللتان تبدأ أولاهما بالجملته التالية . « ولو أننا
سألنا موليير نفسه جوابا للزم الصمت قائلا . دويكم وقائع الرواية . .
إلح » والنق أنى لا أدرى كيف يلزم موليير الصمت وفى نفس
الوقت ينطلق مجيبا عن سؤالها ما يريد عن عشرين سطرا . وعلى
كل حال مما قاله الدكتور مندور فى هاتين الفقرتين هو كلام عام لا
يخرج فى فحواه عاليا عما جاء فى تحليل كالفية لشخصية ألسنت



ونصل إلى ما كتبه مندور عن مروج واستيباك ، وهذه هى
ملاحظاتي بشأن المقارنة بين ما قاله وما وجدته عند كالفية .

١ - حذف مندور الإشارة إلى سوريل الموجودة فى النص
العرسى وكذبت المقاربات التى عقدها كالفية بين شخصيته وشخصية
راستيباك .

٢ - بعد أن انتهى مندور من نقل النص العرسى الذى اقتبسه
كالفية من رواية " Le Père Gonot " لمارك مصى فنقل كلام
كالفية فى التعقيب على هذا النص كأنه كلامه هو ^(١)

(١) ص ٩٥ - ٩٦ من الجزء الثانى فى النص العرسى ، وص ١٤٧ فى
كتاب مندور . وكلام كالفية يبدأ من أول الفقرة الثانية فى ص ٩٦ ،
وهو عند مندور يبدأ من نهاية السطر السابع من أسفل ص ١٤٦ ، وأزله
« وكان واستيباك شابا حاد الذكاء علما بذكائه ... » .

٣ - وهو نفس ما فعله مع التعليق الذى كتبه كالفيه على نص آخر لملاك^(١).

٤ - ومثل ذلك الكلام الذى يبدأ من منتصف الفقرة الثانية من ص ١٠٥ فى كتاب كالفيه ، إذ عبده بمصاه فى الفقرة الثانية من ص ١٥٤ وما يليها من فقرات حتى منتصف الفقرة الثانية فى الصفحة اثني نلى ذلك من كتاب مدور ، الذى اكتمى ها بتلخيص كلام الأستاذ الفرنسى دون أن يضيف إليه شيئا

٥ - كذلك فالص المقتبس من رواية لملاك فى الفقرة الأخيرة من ص ١٠٥ فى الأصل الفرنسى موحود بعينه فى ٥ بمادح بشرية ، بدءا من منتصف الفقرة الثانية من ص ١٥٥ دون أن يريد فيه مدور أو يقص منه شيئا

٦ - ثم إن الفقرة الثانية من ص ١٥٤ فى كتاب مدور مأخوذة بصها تقريبا من الفقرة الثانية فى ص ١٠٧ من كتاب كالفيه

٧ - وهناك نص مقتبس آخر من رواية لملاك فى كتاب كالفيه (أسفل ص ١٠٧) نقله مدور كما هو (أسفل ص ١٥٤ عبده) ، وهو يتمثل فى الحفظتين المتبادلتين من استيائك ومذاه دى بوسيجان

(١) قارن الفقرة الأولى من ص ٩٨ من الجزء الثانى من الأصل الفرنسى والفقرة الثانية من ص ١٤٨ فى كتاب مدور

٨ - كما يردد مدور أيضا في أوائل الفقرة الثانية في ص ١٥٥
من « نمداح بشرية » حديث كالفية عن شخصية راسنيك وروغباته
واقدمه .

٩ - وأخيرا وليس آخرا فإن السطور الثلاثة التي تنتهي بها الفقرة
الأولى في ص ١٤٣ من كتاب مدور موجودة بمصها في الأصل
الفرنسي في الفقرة الثانية من ص ١٠٩ .

أما « تتران الترسكوي » (بطل ثلاث من قصص الكاتب
الفرنسي الشهير الموس دوديه) فليس الفصل الذي حصصه له د.
مدور في مجمله إلا خلاصة الفصل الماطر له في كتاب كالفية مع
الاحتفاظ بعدد غير قليل من عبارات الأستاذ الفرنسي بنصها . أما
الاقتباسات التي أوردتها كالفية فلم يقل منها مدور شيئا بمصه في
كتابه مكتفيا بتلخيص ما جاء فيها عند الحاجة إليه . والملاحظ أن
العصول الأخيرة في كتاب مدور أصغر من فصوله الأولى . ويبدو أنه
كان قد ملّ المل الحرفي ل فقرات كالفية واقتباساته فآثر النقل المختصر
لأفكار الرجل ، وإن كانت عادة السطو على عبارات كالفية لم تعارقه
تماما . ولعط بعض الأمثلة على ما يقول :

ففي ص ٢١٦ من كتاب د. مدور سمعه يتحدث عن شهرة

اسم ترتران بين مثقفي العالم مد أن خلق شخصيته ألبوس دوديه مصورا من حلالها جانباً من أحلاق السروقسيين في جنوب فرنسا ، وهو جانب الثرثرة والرهو وادعاء البطولة الفارعة ، وكيف أنه بذلك قد أعصب هؤلاء القوم الذين أكد لهم معتدرا أن هذا لا يعنى ما يتمتمون به من خصائص روحية وشعرية .

وهذا الكلام هو هو نفسه قد قاله كالفيه في الصفحتين ٢٣٧ - ٢٣٨ من الجزء الأول من كتابه وليرجع القارئ إلى الكتابين ليقارن بنفسه بين الكلام هنا وهناك ، ولسوف يجد مصداق ما يقول ولقد حافظ مندور على بعض عبارات كالفيه بعضها ، مثل قوله : « لا نعلم أن اسم ترتران مجهول من أحد من المثقفين » مد أن . حقق أنه (ألبوس دوديه) أمودجا حيا لذلك النوع من الناس الذين لا يعرفون غير الثرثرة والرهو وادعاء البطولة . والحق أن ترتران لفهقهة في هم الزمن ، وقصته إذ هي إلا قصة هشار يعتقد أنه من قننة الأسود فيبحر ذات صباح إلى الجزائر بشمال إفريقيا ليصطاد عددا منها ثم يعود فحورا مزهوا ، مع أنه لا يحمل غير جلد أسد واحد أعشى أصيب بكساح من القوس ومات في إحدى الحطائر إلخ » فيه نكلام يكاد أن يكون مأخوذا بصحة وقصته من كالفيه ، مع إصااد كلمة « شمال إفريقيا » بعد كلمة « الجزائر » (وهي غير موجودة . نفس العرسي) وتعبير كلمة « من » بـ « triot hant » . « را مرهوا » .

والتعطيل في ترجمة un lion de ménagerie, aveugle et rhumatisant التي تحولت في لسان الضاد إلى « أسد أعمى أصيب بكساح من القرمس ومات بإحدى الحظائر » ، على حين أن معناها « أسد من أسود السيرك أعمى مصاب بالروماتيزم » . وهكذا استحال السيرك عدد مندور فأصبح حظيرة ، كما أن تشخيصه لآلام الأسد المسكين يحتلف عما قرره دوديه ، إذ نسبها إلى القرمس رغم تشخيص المؤلف الفرنسي لها بأنها روماتيزم . وبالنسبة فقد وقع د. مندور في غلطة بحرية مصحكة ، وذلك في قوله « نلكما الشخصيتين » ^(١) ، وصرابها « تلك الشخصيتين » . ووجه الخطأ في هذا هو أنه نسي حروف الخطأ « كُما » وأبقى على اسم الإشارة مفرداً ، بينما الصواب هو العكس .

كذلك فعى وصف كالفيه لتسلق ترترا و صديقه الجبل
 " Chacun croit que l'autre est en train de rouler aux abîmes Alors, geste sublime, tous les deux, en même temps, avec la même spontanéité, ils coupent la corde et tombent, l'un en France, l'autre en Italie " ^(٢)

(١) ص ٢١٧

(2) t. I, p. 246

كل منهما أن الآخر يهوى الآن من حائق وعدند ، وفي بادرة عظيمة ، قام الاثنان في نفس الوقت ، وتلقائية واحدة ، بقطع الحبل مسقطا أحدهما في فرسا والآخر في إيطاليا ، لكسا نقرؤها عد مندور على السحر التالي « أحد كل مها يحدث نفسه بقطع الحبل لينجو بحياته حتى انتهى بهما الأمر إلى قطعه في وقت واحد ، وإذا بأحدهما يتدحرج في أرض فرسا والآخر في أرض إيطاليا » (١) ، وذلك رغم أنه لا يوجد في النص الفرنسي أن أبا مهما قد حدثته نفسه بقطع الحبل لينجو بحياته .

وعندما يشه كالفيه الأميرة ليكييريكي (٢) بنت ييجوكو ملك سكان جزيرة البولويرياواك المتوحشين) بأحدى إناث القرود التي تسكن أعالي الأشجار ، يظن د مندور أن الأميرة هي أبصا تسكن أعالي الأشجار مثل هذه القرود وهناك هما الصان : الفرنسي والعربي ، أسوقهما كما هما بين يدي القارئ :

‘ Il épouse la fille du roi sauvage, la princesse Likiriki, une sorte de guenon malpropre qui habite plus particulièrement au sommet des arbres ‘ (٣) .

« وتزوج من بنت الملك المتوحش الشديدة الشبه بالقرود حتى

(١) ص ٢١٩ .

(٢) التي تزوجها ترة ن

(٣) L. I, p 2

في اتخاذها أغصان الأشجار مأوى لها ^(١).

وبعد « ترتران الترسكوي » يأتي نموذج « جوليان سوريل » ،
الذي أخذ مندور ما كتبه عنه كالفيه من أن أحداث حياته هي نفسها
أحداث حياة ستدال مؤلف الرواية الذي يمثل دور البطولة فيها بما في
ذلك فقدان عطف الأم والشقاء بقسوة الأب ، وأنه في الواقع رمز
لأحلام ستدال ، إذ حقق فيه ما عجز هو عن تحقيقه في حياته ، وأن
ستدال كان ممس يدهون بميدان القوة الذي تسم عنه كل رواياته ^(٢).

كذلك فإن النصوص التي استشهد بها مندور والوقائع التي
لخصها من حياة سوريل لا تحرج في شيء تقريرا عما في كتاب
كالفيه ، وإن كان الكاتب الفرنسي قد توسع كالعادة أكثر مما فعل
مندور وبماثل نجد عند مندور ، كما عند كالفيه ، كلاما عن الثورة
الفرنسية وبابليون إلا أن في كتاب مندور ثلاث فقرات لا يوجد نظير
مباشر لها في كتاب الأستاذ الفرنسي ، وهي الفقرتان الأولى في هذا
الفصل ^(٣) والفقرة الأخيرة منه ^(٤) وفي الفقرتين الأولى يتحدث

(١) ص ٢١٩

(٢) قارن الفقرة الثابتة في ص ٨١ من الجزء الثاني عند كالفيه بالفقرتين
قبل الأخيرة من الفصل الخامس بـ « سوريل » في كتاب مندور / ص

١١٩ - ١٢٠

(٣) ص ١١١ - ١١٢ . (٤) ص ١٢٠ .

مندور عن النفوس الممتازة الموهوبة التي تجد نفسها محرومة مما ينبغي لها من حقوق بسبب الوصلية والمحسوبة وما إليهما من ألوان الفساد السياسى والاجتماعى ، أما فى الفقرة الأخيرة فيحاول أن يجيب على السؤال التالى : « بم تحكم على جوليان ؟ » . وفى الجواب عنه نراه يؤكد أنه لم يكن خيسا ولا شريرا بالفطرة بل كان حبيبا متواضعا ، بيد أن الجماعة التي عاش فيها قد احتقرته فانتقم منها ، إلا أن وسائل هذا الانتقام مما لا نطمش إليه النفوس ، وبالذات حين أصابت من كانوا يعطفون عليه .

وهكذا فإن أخذ مندور من كالفية فى هذا الفصل ليس بنفس القوة التي يجدها فى الفصول الثلاثة السابقة



وفى الفصل الخمس لنمودح « بتلان » (الذى أوتر أن يكتب به « الطاء » لا به « التاء » ليوحى بالبطلان الذى يسود أمكاره ونصرفاته) لا يكاد نجد شيئا يستقل به مندور عن جان كالفية ، إذ قد تتبعت كل الفقرات التي تشكل هذا الفصل فوجدتها كلها تقريبا منقولة عن الأستاذ الفرنسى ، اللهم إلا فقرتين أو ثلاثا هي أشبه ما يكون بتلخيص ما قاله كالفية فى عبارات عامة . ولئلا من البداية :

ففى الفقرة الأولى من ص ١٣٥ يخبرنا د. مندور بتاريخ ظهور المسرحية الهزلية التي بطلها « للسيو بطلان » وتاريخ مسرحها ، والاحتلاف حول مؤلفها من هو : أهو فرانسوا فيون أم جيوم دى

لوريس لم ألتوان دى لاسال ؟ وهذا كله مأخوذ من كالفيه دون أدنى إضافة ، إلا أنه عند مندور أوجز قليلاً بما فى الأصل الفرنسى . ثم إننا ، فى العقرة الثالثة من نفس الصفحة عند مندور ، نجد أنه يقول إنه قد بلغ من نجاح الأستاذ بتلان أن أصبح اسمه من مفردات اللغة الفرنسية ، فيوصف الرجل بـ « أنه بتلان : C'est un Pathelin » ، أى ماكر . ومن الاسم اشتق فعلٌ كما اشتق مصدر ، فيقال : « patheliner : يُبتلى » ، و « pathelinage : بَتلَة » بمعنى « يَمَكُر » و « مَكْر » . وهذا بنصه موجود عند كالفيه ، الذى يقول ما ترجمته : « إن اسم بطلان يمثل نمطا ميبا من الحياة والتفكير والتصرف تمثيلاً بلغ من دقته أن تحول هذا الملم إلى اسم جنس مقيم : « إن فلانا بطلان : C'est un Pathelin » . ولقد أخذت الكلمة تدل على بعض الشيات الخاصة لدرجة أنها أصبحت مصدراً لبعض الكلمات الموحية مثل « patheliner - يُبتلى » و « pathelinage : بَتلَة »^(١) .

ومد الصفحة الثانية من الفصل الذى كتبه مندور حول هذا السمودج براه يلخص أحداث المسرحية ناقلاً بين الحين والحين بعضا من الحوار الذى يدور بين أبطالها ومعلّفاً ببعض العبارات التى توضع تصرف هذه الشخصية أو تفسر كلام تلك . وهو نفسه ما نجده فى

كتاب كالفيه ، وإن كان كالفيه كالمادة أكثر تفصيلا . وإلى القارئ
بعض الأمثلة على صدق ما نقول :

فمثلا الكلام الموجود في العقرة الثالثة من ص ١٣٦ عند مندور
هو نفسه موجود في العقرة الثانية من ص ٣٦ من الجزء الأول عد
كالفيه بما فيه النص المقتبس من المسرحية وتعليقات المؤلف الفرنسي .
ومن ذلك قول مندور عن بطلان إنه « انطلق إلى السوق يتحسس
فرائسه » ، فهو نعرته لمبارة كالفيه التالية : " Et voilà Pathelin :
qui part pour la foire , le nez en l'air pour flairer
de loin des dupes " . ومثل ذلك قول مندور عن بطل المسرحية
إنه فان في المكر ، إذ يقول كالفيه هو أيضا . " Pathelin est un
artiste "

وبعد أن يذهب مسيو بطلان إلى السوق ليوقع بأحد المعفلين
يقول د مندور : « وسبيل بطلان إلى ما يريد هو ما ذكرت من في
المكر . عليه أن يحتسب ثقة السيد جيوم » ^(١) ، وهو مأخوذ من قول
كالفيه " Il lui faut d'abord inspirer confiance " ^(٢)
وبعد ذلك نجد هنا وهناك نفس الاقتباس دون زيادة أو نقصان سوى
أن مندور يختمه بكلمة « ... إلخ » التي لا وجود لها عند كالفيه ،

(١) ص ١٣٧ .

(٢) t. I, p. 37

وكانه يريد إيهامنا بأنه يسقل من المسرحية ذاتها . ثم نقرأ عقب هذا نفس الكلام عند مندور وعد كالفيه ، ذلك الكلام الذى ينتهى بهذه العبارة فى النص العربى : « وكان هذا أول نصر أحرره الأستاذ » ^(١) ، وبذلك فى النص الفرنسى : " C'est une première victoire " ^(٢) .

وعند انتهاء قصة بطلان بمجاهه فى حديقة جيوم تاجر القماش يعلق مندور قائلاً : « بهذه الحادثة كان من الممكن أن تنتهى القصة ... ، ولكن القصة فيما يظهر كانت شعبة الأصل ، والشعب يعلم أن المكر السعى لا يقيق إلا بأهله ، وإذن فلا بد للقصة من حادثة أخرى ينال فيها بطلان جزاءه . ومن ثم تصور المؤلف حادثة أخرى من الممكن أن تكون قصة بدائنها ، واتخذ منها خاتمة بطلان وجزاء لمكره السعى » ^(٣) . فإذا راجعنا كالفيه وجدنا يقول : " La pièce pour-rait finir là et ce serait le triomphe insolent de la fourberie patheline . Mais l'auteur qui n'est pas un amuseur vulgaire veut nous donner d'autres leçons Il a inventé une seconde intrigue savamment mêlée

(١) ص ١٣٧ .

(٢) L. I. p. 37 .

(٣) ص ١٤٠ - ١٤١

à la première qui nous montrera de nouvelles ressources dans le pathelinage et une conséquence inattendue de la ruse trop rusée ⁽¹⁾.

ويقول د. مندور معقبا على خداع المتهم للمحامى بطلان :
 « على هذا النحو يكون المكر قد انتصر مرة أخرى ، وبذلك تظل حريرة
 العدل غير راضية . والشعب خربص على العدل حتى فى مهازل
 المسرح » ، ثم يصيف بعد ذلك بقليل قائلا : « وقد تعلم بطلان درسا
 صفق له الشعب أشد التصفيق ، إذ وجد الماكر يُمَكَّر به » ^(٢) وعند
 كالفين نقرأ الآن :
 " Ainsi s'exerce une sorte de justice immanente qui venge la morale outragée Ah !
 Certes, la morale reçoit de rudes atteintes dans cette
 farce, et ce n'est pas l'honnêteté qui l'emporte en définitive, mais le trompeur est trompé, le gabeur est
 gabé, et cela suffit à l'instinct populaire pour donner
 satisfaction à son vague desir de justice " ^(٣)
 سريرة بين النصيب تطلعنا على أن مندور لم يأت بشيء من عبء

(1) t. I, p. 49

(٢) من ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) t. I, p. 58

ومما يلفت النظر أن مندور لم يحرح في مبادئه المستقاة من الأدب الفرنسي عما هو موجود عند كالفيه ما عدا نموذج «فيلسوفيه» لفلوير ، إذ لم أجده في كتاب المؤلف الفرنسي .

والآن وبعد هذا التحليل وتلك المقاربة اللذين أثبتنا بهما أن مندور قد أخذ معظم ما كتبه في «مبادئ بشرية» عن بعض شخصيات الأدب الفرنسي من كالفيه ، فإن الإنسان ليتعجب عاية العجب حين يرى مندور يتحدث مد وقت مكر في رهو وأستاذة عن الشخصيات التي «حللها» في كتابه داك^(١) ترى ما سر هذه الثقة في أن أحداً لن يكتشف سرقة ؟ هل كان يتصور أنه الوحيد الذي يعرف الفرنسية أو أن من يعرفها لن تصعب الأقدار في يده كتاب جان كالفيه أو أن مدس سيحرفون السر لن يعضحوه أو أنه قادر على أن يستخدم سلاح «الهجوم حير وسيلة للدفاع» ؟ الحق أنها مسألة ملفرة ومحيرة ! لكن مندور مع ذلك لم يكن ولن يكون أول من يستطيع ويتشامى بالأصالة ، فكلنا بشر لكن رعم هذا فإن قليلا من الحياء والتواضع مطلوب !

(١) انظر رده على سيد قطب تحت عنوان «إيضاح أخير» في كتابه «في الميزان الجديد» / ١٠٣

أما إذا أراد بعض أن يُلَفِّفَ هذا السطر فيقول إنه « تأثر » أو « توارَدَ حواطر » فهو حرّ ، لكن هذه التسميات المخففة لن تطمس معالم الجريمة ، فإن مدور قد سطا على كتاب كالفية في هذه المباح السبعة على الأقل إما سطوا صريحاً نقل فيه النص كما هو أو بعد أن لحّصه دون أن يصيف من عنده شيئاً يذكّر ، وإن كان قد قدّم وأخر في مواضع الفقرات التي أحدها .

ويكتب نعمان عاشور أحد تلامذة مدور في الجامعة وأحد حواريه عن شعور مدور نحو كتاب « مباح بشرية » فيقول إنه « كان يحتزّ به أكثر من اعترازه بأي عمل آخر من أعماله » ، وإنه كان يعتبره من أعظم ما كتب ، ومع ذلك كان يسميه : « سقط المتاع »^(١) . وأعتقد أن مدور كان يتظاهر أمام هذا التلميذ المتعاني في حب أستاذه وتقديره بالتواضع ليرداد التلميذ به تعلقاً وبالكتاب إنشادة والعجب أن عاشور قد كتب هذا بعد أن نُشرت مقالتان في بعض المجلات العربية تتهمان مدور بأحد مباحه من كالفية ، ومع ذلك لا يجد هذا الحوارى أى داع لمناقشة القضية . والسب هو ، فيما أظن ، الرعية في إيمانها بالصمت والتجاهل

(١) نعمان عاشور / مع الرواد / ٦٤ .

على أن الأمر يرداد ليعالا في الغربة عندما يدرس باحث مغربي
مدور الباقد للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، أى فى
بلد كاثفيه المسطو عليه وتحت إشراف عالم من علماء ذلك البلد كان
ينمى أن تدفعه العيرة الوطنية ، إن لم تكن الرعة فى التحقيق العلمى ،
إلى توجيه تلميذه الذى يشرف عليه لدرس هذه المسألة ، ومع ذلك فلا
التلميذ (محمد برادة) ولا المشرف (أندريه ميكل) قد شمر بأية
رعة فى مثل ذلك التحقيق العلمى رغم أن باحثا جامعا^(١) قد اتهم د.
مدور مرتين فى مجلتين مختلفتين تصدران فى بلدين عربيين (هما
« الرسالة الجديدة » القاهرة ، و « الأفلام » البعدادية) وتاريخين
متبايعين مما يجعلها فصحة مدونة فكيف فات هذا كله المستشرق
الجليل وتلميذه الأمل ؟ ليحط من كتب فى هذا الموضع رأسه إذن
فى أقرب جدر ، وليشرب من الحر !^(٢) . وإن هذا ليذكرى بالموقف

(١) هو الأستاذ عبد المطلب صالح كما سبق القول ودعا الآن من
المشترقة الإسبانية ، إذ لم يمت د عبد اللطيف عبد الحليم التاريخ
الذى ظهرت فيه دراستها السالفة الذكر

(٢) ذكر محمد برادة فى مقدمة كتابه عن « محمد مدور ونظير النقد
الغربي » أنه كان فى الأصل أطروحة حامية كتبها بالفرنسية تحت
إشراف الأستاذ أندريه ميكل للحصول على دكتوراه الملك الثالث من
جامعة باريس (دار الآداب / ١٩٧٩م / ٧) وقد مخطيا فكرة عن
قيمة مثل هذه الرسالة ما قاله لى الدكتور الطاهر مكي مرارا من أن
الدكتوراه التى من هذا النوع ليست دكتوراه حقيقية بل مجرد شهادة
تثبت صلاحية صاحبها لإعداد رساله الدكتوراه

المريب الذى اتخذه مرجليوث من طه حسين عندما اعتصب هذا نظرية
 داك فى إنكار الشعر الجاهلى وشعرائه ونسبها لنفسه بعد أن أدخل
 عليها بعض التحوير الذى لا يمس جوهرها فى شيء. لقد أبصرى
 مرجليوث يدافع عن الدكتور طه ويدعى كذبا أنه قد أخرج بحثه فى
 نفس الوقت تقريبا الذى نشر فيه هو دراسته عن « أصول الشعر
 العربى » ^(١) يريد أن يمرر بهذا الكلام رعبه أن براءة طه حسين لا
 معنى لها إلا أن تصبح على ذلك المستشرق الريادة فى القول بهذه
 النظرية. وهو زهد عرب ومريب ، يريد أن الهدف الأبعد من وراء تلك
 الترتبة أنه عبد مرجليوث وأمثاله من هذه الريادة ، ألا وهو إيقاد أحد
 دعاء الشفاعة العربية ومذاهبى المستشرقين والمدافعين عن حظاياهم
 العسكرية فى بلادنا وكل ما قاله برادة فى « سادح بشرية » هو أنها
 « مقارنة بداعية » وأن مدور « يريد أن يعيا على سر أعوار العسر
 البشرية من خلال نصيبها ، على عرار ما حازن الناقد سانت بوف فى
 اتحاد النقد الأدبى أساسا نعلم أن حلاقى » ^(٢)

وشبه هذا الكلام ما كتبه فؤاد قد يل فى كتابه « محمد مدور
 شيخ استاذ » ، إذ وصف هذه المصادح بأنها دراسة « لا تحنو من حلق

(١) انظر فى هذه المسألة كتابى « معركة الشعر الجاهلى بين الترامى ومنه
 حسين - بحث موضوعى مفصل » / مطبعة العصر الجديد
 ١٩٨٧م / ٦٤ وما بعدها .

(٢) محمد برادة / محمد ص. - ظير النقد العربى - ١٤٨ -

عَدَّتْ موهبة وثقافة واسعة^(١) أما أحمد محمد عطية صاحب
العبارات الإنشائية العنانية^(٢) فقد ذكر أن مندور في كتابه ذلك « قد
خلق النقد حلقة إبداعية وثروياً ودفع برؤاه النضالية الشجاعة بين سطور
نقده^(٣) . وكان أولى بهذين الباحثين أن يحاولا معالجة التهمة المصانة
كالسيف على رأس مندور بدلاً من إدارة أعينهما بعيداً عنها . أما ما
كتبته السيدة ملك عبد المرير في مقدمة كتاب زوجها الدكتور مندور
مدحاً للكتاب وشاء مغالياً عليه فيغنيا عن مناقشته ما سبق أن قلناه في
هذا الفصل

وبالنسبة لحكاية « الحلق » و « الإبداع » هذه فربما كانت
السيدة ملك عبد المرير هي المسؤولة عنها ، فقد وصفت السمادج
البشرية التي تحمل اسم زوجها بأنها « حلق » . وقد عللت ذلك
بما تدعيها لها من « صياغة مُحَكَّمة أصيلة وأسلوب حار بهمان
لها العلود كعمل فني »^(٤) وهي تشهد على أسلوب مندور
بعبارات مثل وصفه لسيميليس (في مسرحية موليرير) بأنها « أكدرية

(١) فؤاد قنديل / محمد مندور شيخ النقد / ٨٧

(٢) انظر العمل الذي كتبته عن منهجه الإنشائي التحريضي في النقد في
كتابه « نقد النقص في مصر ١٨٨٨ - ١٩٨٠ م » / مكتبة وهراء
الشرق / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م / ٣٤٧ - ٣٥٦ .

(٣) انظر مقال « مندور ثروباً » بمجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢) / إبريل
ومايو ١٩٨٥ م / ٩٢

(٤) انظر المقدمة التي كتبها لكتاب « فلاح بشرية » / ١٣ .

اجتماعية تتحرك » ^(١) ، مع أن هذا الكلام هو لكالفيه كما بينتُ من قبل ، وهذا هو نصه بالفرنسية : - " Elle est un mensonge vi- vant, le chef-d'œuvre du mensonge social" ^(٢) كانت السيدة منك تؤكد أن هذا الوصف وحده هو الذى يطبق تمام الانطباق على امرأة كسيميلين « كان فى حركات وجهها وابتناسات شفيتها وجرس أعضائها من التكلف والصعقة قدر ما فى ألوان وجهها وأصابع شعرها » ^(٣) ، فإيا من جهتها يؤكد أيضا بل نقسم بالله العظيم ثلاثا على أن هذا الكلام هو لكالفيه ، وأن الدكتور مندور لم يفعل أكثر من أنه ترجمه لم سبه إلى نصه دون وجه حق . وهذه هى عبارة كالفيه فى أصلها الفرنسى : - " Ses mines, ses sourires, ses mots sont factices comme son teint et comme ses cheveux " ^(٤) .



هذا عن التهمة الموجهة إلى الدكتور مندور فيما يحصر كتاب « نماذج بشرية » وتجميعها . وهناك اتهام آخر له بخصوص

(١) المرجع السابق / ١٤ .

(٢) Les Types Universels, t. II, p. 23

(٣) مقدمة « نماذج بشرية » / ١٤ .

(٤) Les Types Universels, t. II, p. 23

محاضراته عن إبراهيم المارني التي نشرها له معهد الدراسات العربية
 العالية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٤ م ، وإن لم يكن اتهامها
 صريحاً للدكتور مندور بالاسم كالإتهام السابق وصاحبته هي
 د. نعمات أحمد فؤاد ، التي كانت قد حصلت على درجة الماجستير
 في الأدب العربي برسالة في نفس الموضوع بشرتها قبل محاضرات
 مندور ، ثم لما أعادت نشرها بعد الطبعة الأولى بنحو سبع سنين^(١)
 كتبت في مقدمتها عما سمته به « ما حدث للطبعة الأولى من إغارة
 ومسخ » مبديةً إليها « أن يأتي هذا أسندةً لهم تاريخهم ولهم شهرتهم ،
 بل لعلهم استناداً إلى هذا فعلوا ما فعلوا طائس أنهم في مأمن من النقد
 أو ما يلحق فعلتهم من الشين والتحريج » ثم مصت نقص القصص
 على البحر التالي : « لقد صدر كتابي في أول يناير سنة ١٩٥٤ ، فإذا
 أستاذ مبروف يستعيره من قبل التجليد في رجاء متعجل وفرحت
 يومئذ ، إذ ألس عصاة والأمل مائي ، أن يطلب إليّ الشيوخ كتابي .
 وما قدرتُ لسداجتي أن وراء هذا الطلب كُتُباً عن المارني صدرت
 ١٩٥٤ (بالطبع بعد يناير ، وإنْ أُعْمِلَ ذكر الشهر للتعمية حتى يلتقي
 مع كتابي من سنة الصدور) في صورة محاضرات تأكيداً للأستاذية ،
 فإذا بالكاتب تأييد عمر شاكر أو دأكر لما جاء في كتابي عن تاريخ

(١) في سنة ١٩٦١ م

المأزنى وحياته ويثته وثقافته وأطوار أدبه مع اختلاف متعمد في بعض
المواضع ليسفي الاتفاق والتطابق ومن طرائف هذا التأييد (ولا أقول
: « الاقتباس » تأديبا ، فإن الفاعل أستاذ مشهور) أنه يتمسك حتى
بالشواهد التي احتوتها من أدب المأزنى مع وجود نظائرها وأشياء في
كتب المأزنى لو أن المحاصر قصد إليها أو كلف نفسه جهدا فيها . وهو
تأييد لا ينبغي اختلاف وجهات النظر في موضعين أو بضعة مواضع
احتلالا لابد من وجوده قصدا أو طبيعة في مثل هذه الظروف التي
تكتف بتعدد الكتابة على موضوع واحد ، مع تغيير النظام شيئا وترويض
المحاصرات على مسافات بعيدة بلمحة من الأدب الغربي وذكر
أصحابه وسكت على مصفى وكطمت على مرارة ، ولكن الأستاذ
غفر السكون وأعراه الصمت بالعودة فنشر في مجلة « المهلة » سنة
١٩٥٩ مقالين عن المأزنى حيا^(١) فيهما الصفحات ٩٦ ، ٩٧ ،
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ من كتابي (الطبعة الأولى) تحية كاملة .
فشكرا للطبعة الثانية التي أتاحت لي الإفراس عن صحتي . وإن كان قد
بقى شيء لم أصبح عنه فذلك متروك لذكاء القارئ وإطلاعه ،
وإني منها لمألى يقين^(٢) .

(١) نقصد أنه « أمار » على الصفحات المذكورة .

(٢) د. سمعان أحمد مؤاد / إبراهيم عبد القادر المأزنى / الهيئة المصرية
العامة للكتاب / سلسلة « الأعلام » (المجلد ١٩) / ١٩٧٨ م / ٢٦ -

والأستاذة الدكتورة تقصد ، في إشارتها الأخيرة ، أن تقول إنها تركت اسم الساطي لذكاء القارئ بعد أن أعطته المعلومات الكفيلة بإرشاده إليه ، فقد ذكرت « كتيبا » قالت إنه « محاضرات » ، وأنه صدر « سنة ١٩٥٤ » دون تحديد الشهر ، وإن صاحبه « أستاذ مشهور » . ولا يوجد ما تطبق عليه هذه الأوصاف إلا كتيب الدكتور مندر المسمى « محاضرات عن إبراهيم المازني » ، والذي يقع في أقل من خمسين صفحة ، ويحوى (كما قالت الدكتورة نعمات) بعض اللمحات عن الأدب العربي وأعلامه مثل فيكتور هيجو^(١) وجورج ديهامل^(٢) وأنتول فرانس^(٣) وما يسميه الرومانسيون الأوروبيون بـ « مرض العصر : mal de siècle »^(٤) وسرفانتس وقصته عن « دون كيشوت »^(٥) و « الفرصية المسيحية » التي تقابل عبدا « الفعلة الأزهرية »^(٦) .

وإن تصفحاً سريعاً للورقات المسماة بـ « محاضرات عن إبراهيم المازني » ولترسالة الدسمة التي حصلت بها الأستاذة الفاضلة على درجة الماجستير لكافي لإثبات صدق ما قالت . فالأفكار الموجودة

(١) ص ٢٥

(٢) ص ٣٠ ، ٤٤ .

(٣) ص ٣١ .

(٤) ص ٣٣ .

(٥) ص ٣٤ .

(٦) ص ٤٧ .

بالمحاضرات هي الأفكار الموجودة برسالة الأستاذة الدكتورة ،
والامتشهادات هي هي إلا في موسمين اثنين على طول الكتاب ،
فضلا عن أنا في الوقت الذي نجد فيه د نعمات حريصة على توثيق
نقولها وامتشهاداتها لا يرى الدكتور مدور يهتم بشيء من ذلك ^(١) .
وهذا طبيعي ، فقد تعبت السيدة الباحثة وأفتت أيامها وليالها في البحث
عن مصادر رسالتها ومراجعها ومطالعنها ونقل ما تحتاجه منها في
جداولها ، أما الدكتور مدور فقد ألقى كل ذلك بين يديه صيدا ثميناً
سهلاً لا يحرجه إلى بدل جهد أو إعياء وقت فلم يشأ أن يضيع وقته
العالي وقام بالإغارة على ثمرة جهد الباحثة حللاً رلاً وأخرجته
للقرءاء موسومة باسمه حاملاً ملامح أستاذيته المعجمة بالثقة والاطمئنان
التامين ، وإن كان قدّم وأحرر فيما أعار عليه كما صبح في « معادح
بشرية » .

والى النقارئ الآن أهم ما أحده الدكتور مدور من الدكتورة
نعمات فؤاد :

١ - الإشارة إلى غرابة العاوين التي يختارها المازني لكتبه ، مثل
« حصاد الهشيم » و « قبض الريح » و « صدوق الدنيا » ، ودلالها

(١) اللهم إلا في مرصع واحد (من ٤٢) ، وذلك حينما يمر على المك-
الدى نقل مه صفاً من كتبه المازني « من النافذة

على منحي أفكاره ومواقفه من الحياة (ص ٤ ، وعند د. نعمات ص ٥٧).

٢ - موقع بيت الماربي قرب المقابر وأثر ذلك في نفسه (ص ٤ ، وعند د. نعمات ص ٥٦).

٣ - فزع الماربي من الجثث التي تعثر فيها أثناء سيره في المقابر والأثر الذي خلَّعته تلك الحادثة في أعصابه (ص ٢٤ ، وعند د. نعمات ص ٥٧).

٤ - إيراد بعض رثاء المارسي لابنته ، التي ذكر د. مشدور أن اسمها « مندورة » ، وهي معلومة لم يكن يعرفها إلا د. نعمات ، وقد أخبرتها بها زوجة الماربي نفسها (ص ٢٣ ، وعند د. نعمات ٨٢)

٥ - ذكر أسلاف الماربي العرب من لصوص وقُتاك وشعراء (ص ١٦ ، وعند د. نعمات ص ٥٢ - ٥٣).

٦ - شدة تواضع المارسي ودلائلها على ترفعه واعتزازه الرائد بدائه (ص ١٠ ، وعند د. نعمات ص ٧٦ ، ٣٩٠).

٧ - كلام الدكتور مشدور عن الأصدقاء الثلاثة : العقاد والماربي وشكري وما وقع بينهم من خلاف وتعمق (ص ٢٨ ، وعند د. نعمات ص ١١١ وما بعدها).

٨ - كثرة اطلاع المارني على الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى وربط ذلك بأفكاره ولغته (ص ٧ ، وعند د. نعمات ص ١٣ ، ٣٤٤)

٩ - رأى المارني في أن الشعر إنما يعتمد على التصوير لا الفكرة ، والبيتان الشعريان اللذان سبقهما لتوضيح هذا الرأي (ص ١٤ ، وعند د. نعمات ص ١٤٣ وما بعدها) .

١٠ - إشارة د. مدور إلى نشاؤم المارني وحنقه على الأحياء في ديوانه الأول واستشهاده على ذلك بأبياته التي أولها : سترحني على هذي الحياة الستائر (ص ٣٤ - ٣٥ ، وعند د. نعمات ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ٣٣٨) .

١١ - إشارة د. مدور إلى ما يسود الجزء الأول من ديوان المارني من مسحة حزن مع استشهاده بماورين بعض القصائد على ذلك (ص ٣٦ - ٣٧ ، وعند د. نعمات ص ١٥٦ - ١٥٧)

١٢ - إشارة د. مدور إلى شكوى المارني في مقدمة : صندوق الدنيا من تبيد حياته في الكتابة والتأليف ، ولا استشهاد على ذلك بمقرات من هذه المقدمة (ص ١٩ - ٢١ ، وعند د. نعمات ص ١٧٨ - ١٧٩) .

١٣ - الإشارة إلى حمنة المارني على الأحرار - المصرية في عصره وإيراد شيء مما كتبه في هذا الموضوع (ص ٤٢ ، وعند د. نعمات ص ١٨٧ - ١٨٩)

١٤ - الإشارة إلى تحول أسلوب المارنى من الاحتفال بالصياغة إلى السهولة بل والسطحية فى بعض الأحيان (ص ٢٤ ، وعد د. نعمات ص ١٩٠ - ٢٠٣) .

١٥ - إشارة د. مندور إلى هجوم محمد على حماد فى كتابه « المَعْرُوف » على الأستاذ المارنى واتهامه إياه بسرقة مسرحية « الشاردة » من جالرونى (ص ٢٢ ، وعد د. نعمات ص ٢٨٨)

١٦ - كلام د. مندور عن سخرية المارنى (ص ٢٢ ، وقد حصصت لها د. نعمات فصلا كاملا من رسالتها ابتداء من ص ٣٢٧)

وهذا غير المعلومات الكثيرة المنشئة فى كتيب د. مندور والتي لم يُنَبِّرْ فى أى موضع إلى المصادر التى استقاها منها . وفى بقى أن من يتمتع فى المقارنة بين العملين سوف يفرح بأشياء أخرى غير التى ذكرتها هنا من مجرد التصريح السريع كما قلت . ولعل بعض الباحثين الآخرين يراجعون كتابات د. مندور الأخرى ، إذ يغلب على طى أن مثل تلك المراجعة كميّة بأن تهدينا إلى الأصول التى كان يضعها د. مندور أمامه وهو يحترها ، فقد كان (كما أشرت فى المقدمة) بارعا فى صياغة أفكار الآخرين فى تركيز ووضوح وبأسلوب يتسم بالدقة رغم كل شيء

تقوم ترجمة مندور لـ « مدام بوفارى »^(١)

رواية « مدام بوفارى » من الروايات الشهيرة جدا فى الأدب العالمى ، ومع ذلك فلا بد من المسارعة إلى الاعتراف بأنى لم أبل منها من المتعة ما كنت أقدر أنى سأناله بعدما رأيت ما يحيطها به النقاد والكتاب من حالات المجد والمعبرة لقد أحسست بقدر غير ضئيل من الملل وأنا أقرأها ، وربما كان بعض ذلك راجعا إلى أنى لم أقرأها دفعة واحدة لا فى لغتها الأصلية ولا فى الترجمة العربية التى قام بها د محمد مندور ، بل كنت أقرأ الفقرة أو عدة الفقرات فى الأصل الفرسى ثم أنتقل إلى النص العربى مقارنا بين الاثنين لأرى مدى دقة الترجمة ونجاحها فى لقف الإشعاعات والإيهامات التى لا تكاد تخفى بها العبارة . فضلا عن ذلك فقد اضطررتنى أشعالي الأخرى إلى أن أترك الرواية عدة مرات مما طال معه الوقت المصروف بين بداية القراءة والفرار منها . بيد أن الشعور بالملل يعود أساسا إلى غيبة الأمل التى يصاب بها القارئ حين يجد أن هذه الرواية تكاد أن تحلوا من المفاجآت

(١) اعتمدت فى هذه المراجعة على طبعة Le Livre de demain ، بالنسبة
Arthème Fayard & Cie, Paris (Octobre 1930)
للأصل الفرسى ، وعلى طبعة « روايات الهلال » (المجلد ٢٤٠ ،
١٩٤١) / إبريل ومايو ١٩٧٧ م « بالنسبة للترجمة .

التي يظل طول الوقت يترقمها بل إن مشاعر بطلة القصة وعاشقها لا يتغيرها هي نفسها أى تعبير ومع ذلك فإن هذا كله يزول فى نهاية الرواية حين تنتحر البطلة ويصف فلوير انتحارها وآلامها ساعة الاحتصار ذلك الوصف المثير .

والرواية ، كما هو مشهور ، تدور حول روجة طبيب من أطباء الريف والأقاليم تعلق عليها الرعة الخيالية التي لا نستطيع حقائق الواقع أن نحقق من علوانها ، فكانت فى حالة تهيؤ دائم للوقوع فى حب أول شخص يقابلها ويبدى شيئاً من الرقة والاهتمام بها حتى لو تكشف بعد ذلك عن فظاظة طبع ، مما يدل على أنها لم تكن تحسن قراءة الشخصيات ولا استشفاف الأخلاق ، بل كانت هذه الرعة الخيالية التي لم تخل من نعاة وسداحة تُسمى عيبيها وتضلّلها حتى انتهت إلى السقوط فى وحل الفضيحة وانتحرت بعد أن تحلى عنها عشيقاها اللذان صحت بسمعتها رمال زوجها وحاجة ابنها إلى حنان الأمومة من أجلهما

وسنرى بمرور أن فلوير قد قدّم إلى المحاكمة بسبب هذه الرواية التي وصفتها الرقابة آنذاك بأنها تسيء إلى الدين والأخلاق وقد أحس د مدور إذ شفع ترجمة الرواية بترجمة عريضة الانتهام ومراجعة محامى فلوير ، فإن دعوى النائب العام ورد اغامى عليه هما فى الواقع

آيات من آيات النقد الأدبي ، وإن كنت أرى أن ردود محاسن فلوير أقوى وأكثر إقناعاً .

وأحب قبل أن أحطو إلى التعليق على الترجمة أن أقف عند بعض آراء النايب العام والمحامي التي تتعلق بالرواية ، فقد أكد النايب العام أن اللون العام لصورة مدام بوفاري ، كما رسمها فلوير ، هو اللون الشهواني ، فهو يقول : « قد استخدم المؤلف كل غاية وسطورة أسلوبه لكي يصور هذه المرأة ولكن هل حاول أن يظهرها من ناحية الذكاء ؟ أبداً . أم من ناحية القلب ؟ ولا هذا أيضاً . أم من ناحية الروح ؟ لا . أم من ناحية الجمال الجسمي ؟ بل ولا هذا . أوه ! إني أعلم أن هناك صورة لمدام بوفاري بعد الربا رائحة البريق ، ولكن اللوحة شهوانية قبل كل شيء ، والأرصاد شهوانية ، وجمال مدام بوفاري جمال استشارة ^(١) والحق أن في ادعاء النايب العام مبالغة شديدة . إني لا أستطيع أن أذكر أنها كانت تعون روحها ، لكنها كانت في ذات الوقت حريصة على التستر ما أمكن . وهي لم تكن بالمنهكة لا في ملابسها ولا في حياتها الاجتماعية ، بل ولم يكن اهتمامها اهتماماً بجس الرجال عموماً بل فقط بالرجل الذي كانت تحبه وترى إلى أن تجده عنده ما تبحث عنه من الحب الحياتي الذي كانت تقرأ عنه في

القصص العاطفية الحارة . لا ، بل إنها في مظهرها العام وتصرفاتها ، حتى وهي حالية بعثيقها ، كانت توحى بالركة ونستثير الأحلام ، وبالطبع تستثير الشهوة أيضاً ، وإن لم تكن الشهوة هي العنصر الذي يحتلّ المقام الأول فيما يخرج به القارئ عن شخصيتها من انطباع . والعرب أن يركز السائب العام على الاعتبارات الأدبية متجاهلاً ما في الكتاب للمقدس من قصص وحكايات تعيى عهراً وقحشاً كشيد الأماشيد مثلاً أو سقى ابتنى لوط عليه السلام أباهما عمراً ونومهما معه وحملهما منه إلح ... إلح ..

كذلك لا يستطيع الواحد ما أن يوافق السائب العام على ما يظه من أن واجب الروائي هو أن يجعل أبطال رواياته وطلاتها فصلاء ذوى خلق مستقيم ، فإن انصرفوا عادوا فتاهوا^(١) . والحمد لله أن ليست كل الروايات هكذا ، وإلا كان الأمر مملاً جداً وقمينا بأن يصرف الناس بعد فترة من الزمن طالت أم قصرت عن هذا الفن ، لأنهم يدركون في نهاية المطاف أن هذا نصلي ، إذ الحياة محتمة عن ذلك وليس معنى كلامي هذا أنى أدعو الروائيين إلى تمجيد المهر ، بل كل ما أريده هو الصدق ، مع عدم القصد إلى استثارة آمراض الجنسية ، فإن هذا باب خطر ولوجّه . والأولى في هذه الحالة أن يكتفى الروائي بالإشارة

والإحياء^(١).

وقد ترتب على هذا الفهم التبسيطى بل الساذج أن اعترض هذا الكاتب العام على قول فلوير فى موضع ما من روايته ، إشارة إلى ما كانت تحس به إما البطلة من استمرار من زوجها وعيبه أمل فى علاقتها بعشيقها « آه لو أنها فى نصرة جمالها وقبل دنس الزواج وعيبه الأمل فى الرنا كانت قد استطاعت أن ترسى حياتها فوق قلب كبير مثين ، إذن لاحتلطت المعصلة والماعطفة واللذات والواجب ولما زلت من هذه السعادة العالية »^(٢) ، قائلاً « هاك من كان يستطيع أن يقول : عيبة الأمل فى الرواح ودس الرنا » ، ولكن النص يقول « قبل دس الرواح وحية الأمل فى الرنا » وهو اعتراض لا معنى له ، أولاً لأن فلوير لم يكن يصف مشاعر الكاتب العام بل مشاعر إنا ، التى كانت تنظر إلى رواجها والزنا الذى انحدرت إليه هذه النظرة سواء وافقها نحى أو المؤلف على هذا أو لا ، وثانياً لأن فلوير لم يدع إلى

(١) يقول إنييد ستاركى إن فلوير كان يؤثر فى قاعدة الصمت والتلميح على الرصف المصرىج (Enid Starkie, Flaubert The Making of the Master, London, 1967, p. 348) . وجدير بالذكر أن الحكمة قد برّكت من نهضة الإساءة إلى الخلق الدينى والشعرى السليم (C. Di gen Flaubert Paris, 1970, pp. 95 - 96)

الزنا في روايته ، وإلا لما جعل نهاية بطلته الزانية بهذا الشكل القاطع من
 العتاسة والنصيحة والعداب . ومن ثم فقد جانب الكاتب العام الصواب
 تماما في قرب نهاية عريضة الدعوى في قوله عن إنا : « ليس في
 الكتاب شخصية واحدة تستطيع أن تذهبها . وإذا استطعتم أن تجدوا
 شخصية واحدة حكيمة أو أن تعرفوا على مبدأ واحد يمكن أن يدان به
 الرما فاحكموا بلأى محطى . وإذا فإذا لم يكن في الكتاب كله
 شخصية واحدة يمكن أن تحملها على أن تطأطأ الرأس ، وإذا لم تكن
 هناك فكرة أو سطر يمكن أن يفسه به الزنا فإننى أكون على حق ،
 ويكون الكتاب ضد الأخلاق » (١) ، إذ ليست العبرة بل ولا من
 مقتضيات النفس الرفيع أن يدين الروائي على نحو سافر وبصوت
 مسموع أبطله الأشرار . ثم أى حرى أقطع من الخزى الذى جعل إنا
 فى نهاية المطاف حين سمّت نفسها وكتب عليها أن تتجرع العذاب
 غصصاً مرزوعة أمام أعين الجميع وتغطى القبح جسدها الجميل فتشوهه
 بل وتهدل لسانها طويلاً من فمها حتى حافت ابتها من هذا المنظر
 وبكت فأبعدوها ؟ إن أحداً غيرها وعير عشيقها لم يكن يعرف
 بحياتها ، وعلى هذا علم يكن أحد يستطيع أن يجعلها (بتعبير الكاتب
 العام) غنى رأسها ، اللهم إلا تاجر الأقنعة المتجون الذى حدّس شيئاً
 مما كانت متورطة فيه ، والذى أدلها بهذا القليل الذى كان يجده

وقد كانت ملاحظة محامى فلوير صحيحة حين قال إن الدقة التصويرية والتفصيل الوصفى ليسا مقصودين على المشاهد التى رسم فيها المؤلف لقاء إيتا بعشيقها فى حجرة النوم (وإن كنت ، من حيث المبدأ ، أرى أنه كان يستطيع أن ي حذف الوصف الصريح جدا ، وهو قليل ، مكثفيا بالإيحاء فى مثل هذا الموقف) ، فقد تناول المؤلف ، دون أى تحفظ ، جميع أحداث حياة إيتا فى طفولتها وفى تربيتها بالدير^(١) ، بل تناول بالتفصيل الشديد وصف كل شيء سواء كان يختص بإما أو لا ، وهو تفصيل يذكّرنا فى بعض جوانبه بأسلوب توماس هاردى . والواقع أن هذا التراث الطويل فى وصف كل شيء هو أحد العوامل التى تجعل القارئ يشعر بالملل ، وإن كان لا بد من الإقرار بأن عبقرية فلوير ونظيره الإنجليزى هـى التى تجعلنا فى كثير من الأحيان نغمض الطرف عن هذا العيب ونعدّوه إلى المحاسن الأخرى ويمكن القارئ أن يجد مثالا على هذا التفصيل المرهق فى وصف فلوير للاحتفال الذى ورّعت فيه الجوائر على العلاحين المهرة^(٢) ، ومثالا ثانيا فى وصفه للكاثدرائية التى تواعدت إيتا وليون على اللقاء عندها^(٣) . والأمثلة بعد كثيرة .

(١) ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) ١ / ١٤٢ وما بعدها

(٣) ٢ / ٨١ وما بعدها

كذلك فإن المحامي كان أيضاً على حق حين رأى أنه ليس في
الفقرة المحذوفة المتعلقة بسقوط إنا لأول مرة مع ليون ما يمكن أن
يحدث الأخلاق ولو حدثاً بسيطاً ، ففي هذه الفقرة نشاهد العربة
وهي معلقة من هذا الشارع إلى ذلك الميدان ، ومنه إلى الطريق
المهادى للسهر ثم إلى الريف ، كل ذلك والحوذى ينصب عرقاً ،
والجوادان يلهب السوط ظهرهما ، وكلما تراحت العربة صاح به ليون
من داخل العربة المسدلة الستائر أن « استمر في السير » حتى كاد
الحوذى يهكي من الإرهاق . والحقيقة أنى كدت ، في غمرة المقارنة
بين الأصل والترجمة ، أن أفرغ من تلك الفقرة دون أن أنبه لما
يحدث في داخل العربة إلا حينما بلغت العبارة التالية : « وذات مرة في
وسط النهار ، وفي قلب الحقول ، وفي الوقت الذي كانت ترسل فيه
الشمس أقوى أشعتها فوق المصابيح المتيقة الفضية اللون ، مرت يد
عازية من تحت الستائر الصغيرة الصفراء وألقت قصاصات من الورق
انتشرت مع الريح (ملاحظة : كانت إنا قد كتبت إلى ليون خطاباً تتحلل
من موعدها معه ، ولكنها احتفظت به معها حتى تلك اللحظة) ،
ونساقطت عن بعد قريب كالمرشات البرياء فوق حقل من الرسم
الأحمر المزهر »^(١) . وهذا كل ما هالك ، وهو يدل على أن الروائي
البارع يستطيع أن يقول كل ما يريد في وصف هذه المواقف وأنبأها

من غير التصريح بكلمة واحدة .

لقد كان محامى فلوهر بارعا فى الدفاع عنه وفى كشف عوار
الدعوى المرفوعة ضد موكله . ولم يحل رده على النائب العام من
بعض السخريات الأملعية اللاذعة كما فى تعليقه على اعتراض هذا
النائب ضد ورود عبارات مثل : « سقطت ملابسها كلها بحركة
واحدة » بحجة أن فيها إساءة للأخلاق العامة . وبصر تعليقه هو :
« وفى الحق إنه لأمر مسرف السهولة أن تنتهم بمثل هذه الطريقة . والله
يحفظ مؤلفى المعاجم من أن يقوموا فى قصة السيد محامى
الإمبراطورية » (١) .

هذا ، وفى ترجمة الرواية أخطاء محزنة ولغوية جد كثيرة لا
أدرى كيف وقع فى مثلها د. مندور . صحيح أن الدكتور مندور ليس
بالكاتب الذى لا تتوقع منه مثل هذه الأخطاء ، غير أن الذى يرونها ها
هو كثرتها ، فضلا عن أن الكثير منها أخطاء لا ينبغي أن يقع فيها أى
طالب مجد فى دراسة لغة قومه .

هذا ، وسوف أورد ها بعض الأمثلة على هذه الأخطاء . فمس
ذلك قوله « بآيتى رهير كبيرتين » (٢) ، والصواب ، كما لا يخفى ،

هو « بأنائى زهور كبيرى » . لقد ثنى كاتبنا الجمع ، والمفروض أن
يشئ المفرد وقد كان يستطيع أن يقول بدلاً من هذا : « بزهرتين
كبيرتين » فربح وسترح . وفى موضع آخر نجد يقول « محتضنة
وجهه الجامد الطويل ذى العين الصعيرتين » ^(١) ، وهو خطأ محو
لأن « ذى » هنا نعت لـ « وجهه » ، وهو مقبول به ، فحقها إذن أن
تكون بالألف وقد تكررت هذه العلة بمبها فى قوله « وهو يصم إلى
جسمه .. مِعْطَقَه المتروك دى الأوشجة » ^(٢) مما ينفى شبهة الخطأ
المطبعى . وما بلغت الطر أيضاً استخدامه جمع التأنيث لاستفراق
الجنس بدلاً من صيغة جمع التكسير ، فجمع التأنيث يدل على القلة
عادة ، أما الاستفراق فيحتاج إلى الصيغة التكسيرة فى حالة وجودها .
وهذه هى عبارته « ومهما يكن هذا الحال الذى أوجدنا هنا لنزدى
واجباتنا كمواطنين وأرباب أسرار » ^(٣) ، وكان الأصح أن يقول
« مواطنين وأرباب أسرار » . أما الخطأ التالى فإنه خطأ شائع فى كتابات
كثير من الكتاب حتى المشاهير منهم ، وهو « ومع أنه » . إلا أنه
« ^(٤) » ، وقد تكررت عدة مرات . ومثل هذا التركيب فى الخطأ

(١) ٨٦ / ١

(٢) ١٤٠ / ١

(٣) ٨٨ / ١

(٤) ٩٥ ، ١٠ / ١

التركيبان اثنتان « ويرغم أنه . . إلا أنه ... » و « وهو وإن كان كذا
إلا أنه كذا » ، إذ ما معنى الاستثناء هنا ؟ فالصواب هو استبدال
« الماء » في مثل هذه التركيبات بـ « إلا » وكسر همزة « إن »
بعدها . وهو يقول : « فطيلة أيام الأحاد نهارها ومساؤها »^(١) ،
والصحيح « وسائها » لأنها معطوفة على « نهارها » ، وهي بدل من
« أيام الأحاد » ، التي تُعَرَّب مصافاً إليه وقد نصح أيضاً أن تُصَبَّ
عطفاً على « نهارها » ، التي ستكون في هذه الحالة ظرفاً ثانياً (والأول
هو « أيام الأحاد ») أما وصف الصحفة بأنها « أجشَّة »^(٢) فهو
عريب مضحك ، إذ من ذا الذي يجهل أن المؤنث من « أجش »
هو « جشَّاء »^٣ ومثله في العرابة استعمال « الكعب » في مكان
« العقب »^(٤) حرياً على أسلوب العامة ، وكان يسمى أن يعطى
الدكتور لذلك ومن الأخطاء أيضاً قوله : « غياطم الحارير »^(٥) ، ولعله
أراد « محاطم الحارير » أي أنوفها كما وردت صيغة المفصول من
« دهل » بمعنى « داهل »^(٥) ، وهو خطأ شائع ، فالمذهول (وكذلك

(١) ١١٣ / ١

(٢) ١٢٤ / ١

(٣) ١٢٦ / ١

(٤) ١٤٧ / ١

(٥) ٢٤٨ / ١

الذهول عنه) هو الشيء الذي يتعلق به الذهول ، أما الذي يقع منه
الذهول فهو « داهل » ^(١) أما الخطأ التالي فهو شيع ، إذ لا يصح
أن يجهل المترجم أن غير « كان » حقه الصب والخطأ هو « كان
المتشاور ماضى فى خطابيه » ^(٢) كما أن مبدور فى وضعه
« العنان » بأنه « مكسور » (بدل « مقطوع » أو « مرق ») إما يترجم
ترجمة حرفية عبارة فلوير " une des brides cassées " ^(٣) ،
فالكسر فى لغتنا يحتمل بالأشياء الصلبة ، أما بالسببة للعنان فنقول
« انقطع » أو « ترق » . وفى موضع آخر يقع عنى هذا التركيب
الذى يكثر فى اللغة العامية . « مكرا عن عادته » ^(٤) ، والصواب هو
« أبكر من » . كذلك نجد مترجما يرفع الفعل المضارع بعد
« حتى » قائلا « حتى لا يلوحان مصحكين » ^(٥) ، وصحتها « حتى
لا يلوحا » . وقد تكررت هذه العلة فى قوله « حتى نصطدمان » ^(٦)
أما فى قوله « إن يدى لا تزال حارّتين من قبلاتك » ^(٧) وقوله

١٤٢ / ١ (١)

١٥٢ / ١ (٢)

١٣ ٢ (٣)

٤٦ / ٢ ١١

٦٧ / ٢ ١٥

١٠٧ / ٢ (٦)

١٤٩ / ٢ (٧)

« البرص والقراع اللذين يجلبوهما^(١) » فخطوه عكس ذلك . ومن الاستعمالات العامة كلمة « خطوبة »^(٢) ، والصواب « حطبة » (بكسر الحاء) ، ومثلها كلمة « مرائب »^(٣) (جمع « مربي ») ، والصحيح « مرائب » .

ومن الأخطاء العظيمة إيراد اسم « أن » المتأخر مرفوعاً . « لأن هناك فنانون »^(٤) . ومثله في الفطاعة نصب خبري المتبدل في قوله : « كان كل منهما يكرر للآخر وهما واقفين ساكنين »^(٥) ، ولعله تروهما حائلي ، بينما الواقع أن الحال ها هو المتبدل وخبرها معاً . ومنها استعماله صيغة الجمع وصفاً لشخصين اثنين ، فإما تقول لعشيقيها : « كم يكون سعداء .. » ، وهو يرد عليها بدوره متسائلاً : « أولسنا سعداء ؟ »^(٦) ، وهو خطأ صوابه « سعيدين » . وهو يستخدم « اصطحب » في محل « صحب أو صاحب » ، وذلك في قول هومييه : « آه ! سأصطحبك »^(٧) ، يقصد أنه سيرافقه لا أنه سيأخذه معه .

(١) ١٧٨ / ٢ ، علاوة على معاملة الرص والقراع (وهما مثني عبر عاقل)

معاملة جمع المفرد

(٢) ٦٩ / ١

(٣) ٨٩ / ١ ، وقد تكرر ذلك الخطأ عدة مرات في تلك الصفحة .

(٤) ١٠١ / ١

(٥) ١٠٦ / ١

(٦) ١١٠ / ١

(٧) ١٢٠ / ١

ومن الأخطاء النحوية أيضاً عدم نصب كلمة « ساع » في قوله :
 « وكانوا كتابا وفقيرين وساع »^(١). كذلك كان ينبغي أن تحذف ياء
 « مهارى » مع تنوين الواو بالكسر في قوله . « في مهارى لا حد
 لها »^(٢) أما في العبارة التالية : « وقال وهو يقدم يده إلى الأمام لكي
 يحنها على الصعود »^(٣) فقد كان الأصح (على الأقل) أن يقول :
 « وهو يمد يده .. » ، فنحن نقدم « إنسانا » على أنفسنا ، أو نقدمه إلى
 شخص آخر ليتعارفا ، أو نقدم هدية ، أما يدا يابا « يمدّها » . كما نجد
 قد أسد ضمير المتنى المذكّر إلى الفعل الماضى عدة مرات برغم أن
 الكلام عس امرأتين لا رجلين ، فهو يقول « وصعدت هاتان
 السيدتان إلى مخزن الحبوب واحتغيا »^(٤) ، مع أنه يقول بعد ذلك :
 « وانتظرنا » . يبدو أن سبب وقوعه في الخطأ مع الفعل « احتغى » هو
 أنه معتل الآخر بربك غير المتقطع وقد كرّر هذه العنطة في قوله
 عن هاتين السيدتين : « ورأها وهى تسير طولا وعرضا » (برعم
 قوله عهما قبيل ذلك « ميرنا ») ، والسبب هو هو فيما أحسن أما في
 قوله عهما أبصا « ثم غابا فأحدا يصلان في المروض » فليس
 ثمة عذر بالمرّة ومن احتلاط الأمر في استخدام الضمائر قوله « وهى
 تضمص عسيها التى تشبههما المشاعل المنقطة »^(٥) ومن الأغلط النحوية

(١) ١٣٠ / ١

(٢) ١٣٧ / ١

(٣) ١٣٨ / ١

(٤) ١٤٣ - ١٤٤

(٥) والصواب : « اللتين » (١٥٥ / ١) .

اللافتة للنظر أنه ما من مرة واحدة استخدم فيها متدور، كما هو المقروض، كلمة « مسح » ليدل بها على ثوب القسيس بل استخدم دائماً صيغة الجمع معها طائفاً بأنها مفرد^(١). ومع ذلك فقد استخدم « مسح » مرة واحدة استخدماً صحيحاً، أى للدلالة على الجمع^(٢). وانظر أخيراً كيف يستعمل لأمر المذكور الصيغة التي ينبغي أن توجه للمؤث، فالصيدلي يقول لشارل « إيكى » بإثبات الياء، وكأنه امرأه^(٣).

وأود، قبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى، أن أؤكد للقارئ أسمى لا أنصيد للمترجم الأخطاء تصديداً، وإلا فهناك أخطاء يصعب حصرها عروتها لإهمال الطابع، وأخطاء كثيرة أخرى لم أوردتها هنا لاحتمالها الصواب على رأى صميم، وذلك حاشا العلقطات الصريحة التي لم أنأ تسجلها ها لأسى فى مقام التمثيل لا التقصى كذلك أود ألا يعمنى التنبية بى أنه ما من كاتب أو أديب إلا ويخطئ، ولكن ثمة فرقا كبيراً بين خطأ يحمى وجه الصواب فيه وبين هذه الأخطاء التي وقع فيها المترجم، فإن من الصعب العثور على عذر له فيها

على أن ثمة عيباً آخر غير أخطاء النحو والصرف هو الركاكة

(١) ١٢٤ / ١ ، ٢ / ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) ١٧٢ / ١

(٣) ١٦٢ / ٢

الأسلوبية في مواضع ليست بالقليلة ، فالدكتور مندور ليس شاباً مبتدئاً حتى يقع في مثل هذه الأخطاء . وجربا على عادتنا في هذا البحث سنجري ببعض الأمثلة التي يتبين معها للقارئ أن العيب المشار إليه يشكل ظاهرة تشد البصر :

فمثلاً في حديثه عن شعور إنا بالوحدة في مخدعها يقول إنها «تود لو هيطلت لتستأنس بالحديث مع الحادم ، لولا أن يسمعها الحياء»^(١) وهو يقصد : «لولا أن الحياء كان يسمعها » كذلك أحس أنه لو كان قال في وصف إنا : «مسلمٌ بشرتها» بدل «مسلمٌ جلدها»^(٢) لكان أفضل ، لأن استعمال كلمة «البشرة» أنسب للمقام ، إذ ترد في وصف رقة بشرة إنا وجمالها ، أما لعلة «الجلد» فيحس في سياق آخر وهو يترجم à leur " Ses parents sont à leur aise " بقوله . «والدء في يسر» ، وهي عبارة تدور وكأن كاتبها أحس ، إذ الترجمة لها حرية وكان يستطيع أن يترجمها مثلاً إلى «والدء مسروران» كذلك لا أظن إلا أن ترجمة " Eh non " " Vous le savez bien " بـ «آه لا وهذا أب تعرف جيداً» جذر ركيكة^(٣) رغم أن العبارة لا تشكل أية صعوبة لا في فهمها

(١) Va / ١

(٢) ٩١ / ١

(٣) ١٢ / ٢

ولا في نقلها إلى العربية (على النحو التالي) . إنك تعرف ذلك جيداً .

وهو يقول . « واستشعرت إنما بالدم »^(١) ، ولا أدري ما الذى تفعله الباء هنا . ولا عذر للكاتب فى إيرادها ، فإن هذا الاستعمال ليس من الأخطاء الشائعة وليست هناك ضرورة شعرية . ثم إن اعتراض الباء هنا بين الفاعل والمفعول ثقيل كاللقمة التى تسدّ الحلق . كذلك نراه يترجم " la parole humaine " بـ « الحديث البشرى »^(٢) ، مع أن المقصود هو « اللغة الإنسانية » أو « كلام البشر » ، وشتان بين هذا وذاك . أما " par l'effet seul de ses habitudes des " amoureuses " فيترجمها بـ « ولحرد اعتيادها الفراميات (غيرت مدام بوفارى من طبائعها ... إلخ) »^(٣) ، وهى صياغة ركيكة ، فضلاً عن عدم دقتها فى نقل العبارة العربية . وربما كان قولنا ، « وتأثير ما تمودته كعاشقة . . » أو « وتأثير عاداتها فى الحرام . . » أكثر توفيقاً . وفى ترجمة " Il me semble que c'est tout Ah ! encore " نراه ceci, de peur qu'elle vienne à me relancer "

(١) ٢٤ / ٢

(٢) ٤٠ / ٢

(٣) نفس الجزء والصفحة .

يقول : « أظن أن هذا هو كل شيء . آه (إلى هنا لا غبار على الترجمة ، ولكن فلسطر فيما يأتي .) ولكن هذا أيضاً لكيلا تعود إلى مطاردي » وكان ينبغي أن تكون الترجمة : « ولكن فلاضف هذا ... » ومن الواضح أنه لم يحاول في ترجمته الفكاك من إसार تركيب العبارة الفرنسية مما جعل صياغته ، إلى جانب ركاكتها ، تبدو عامصة المعنى وهو يترجم " organisme " بـ « جهاز » ، وذلك في العبارة التالية التي تتحدث عن إصابة أحد الكلاب بالثشج عندما قُرب صاحبه من أفعه علبة الطاق « وهل يتصور الإنسان أن سَعوطاً بسيطاً كهذا يمكن أن يحدث هذه الأحداث في جهاز ذوات الأربع ؟ »^(١) والأجمل والأوضح أن تترجم بـ « بنية » لأن المقصود هنا هو مجموع أعضاء جسم الحيوان ، وحتى قد درجنا في لغتنا على استخدام مصطلح « جهاز » (مى هذا المجال) فيما هو أحص من ذلك ، فقول « الجهاز الهضمي » و « الجهاز التنفسي » إلخ . وهو يؤدى " un fils de famille " بهذه العبارة . ابن أحد الأسر ، التي هى ، فصلاً عما فيها من حظاً تكبير « أحد » ، لا تدل على شيء . إن المعنى هو « ابن إحدى الأسر العنية » ، ويمكن تأديته ببساطة بـ « ابن أسرة » (وبالعامية - ابن عيلة) أما

عبارة بلؤلؤف فمعناها « اس أسر من الأسر » ، وهو ما يطق على كل إنسان . والملاحظ أن ركازة الصياغة هنا وعدم دقتها ليسا راجعين ، كما هو الحال في بعض الأمثلة السابقة ، إلى توحى المترجم تأدية العبارة الفرنسية كما هي ، لأن هذه العبارة ، لو تُرجمت حرفياً ، (وهي لحسن الحظ الترجمة الصحيحة في هذا السياق) لما كانت شيئاً آخر غير ما قلناه .

أما التعبير التالي « هذا هو ما يسمى باشتباك المناكير »^(١) ، فهل من القراء من يدرك له معنى ؟ لقد ورد هذا التعبير على لسان هومييه العبدلى إثر مجادلة بينه وبين أحد القسس . ونحن الأصل الفرنسي هو " Voilà ce qui s'appelle une prise de bec " ، وليس فيه أى ذكر لـ « اشتباك مناكير » بل لـ " une prise de bec " ، ومعناه المجارى « مشاحة / حصومة / مافرة » . ويبدو لى أنه يمكن ترجمته أفصل من ذلك على النحو التالى : « أرأيت هذه المناقشة الحامية ؟ » أو « أرأيت هذا السقار ؟ » ، وهو ما يوحى باعتزاز العبدلى بنفسه وطريقته فى المجادلة واعتقاده أنه هرم القسس أو طواه على حد تعبيره .

وفى ترجمة l' .. Tout passa pour elle dans ' éloignement ' ، التى وردت ضمن وصف مشاعر إنا وهي

تشاهد العزف والمعناء من مقصورتها في أحد المسارح وكيف أنها
 اتسافت مع أحلام اليقظة فلم تعد تنصت إلى الموسيقى ، تجده يقول :
 « كلُّ هذا مرٌّ بالسببة إليها قَصِيًّا »^(١) . وهذه عجمة ، وكان الذوق
 اللغوى العربى يقتضيه أن يترجمها كالأنى « كان كل ذلك يأتيها
 من بعيد » مثلا . كذلك نراه يقول : « والجرأة تتوقف على الأوساط
 التى يوجد المرء فيها »^(٢) ، وكان الأجزل أن يقول : « على الوسط
 الذى يكون فيه المرء » أو « على الظروف التى تحيط بالإنسان » ، أما
 « الأوساط » ، فلا تمدُّب فى هذا السياق فى الأدب العربى وحسب
 يصح ليون يده فى جيبه ويخرج " une pièce blanche "
 ويحط بها لحاجب الكيسة ، نرى د مندور يترجم ذلك بـ « قطعة
 بيضاء » . قطعة ماذا ؟ لا بدرى ولا أعرف لِمَ لَمْ يقل « قطعة من
 النقود » ، وهى ليست من الصعوبة بأى مكان أما عبارة " Il la re-
 gardait en face. d'une manière insupportable "
 فيترجم الجزء الأخير منها هكذا : « فى هيئة لا تُحتمل »^(٣) ،
 والأنسب أن يقول « بطريقة لا تحتمل » أو « على نحو لا يُحتمل » ،
 فهكذا يصرّ عن هذا المعنى ، أما « الهيئة » فتسمى شيئا آخر .

(١) ٧٢ / ٢

(٢) ٧٥ / ٢

(٣) ٩٦ / ٢

والآن إلى الجملة التالية : « ولكن هيفير (الهودى) ، الذى كان يحس بشغل الأعشى وهو متعلق بالعربة ، كان يضربه ضربات قوية بسوطه فيصيب جراحه ، ثم يسقط فى الوحل وهو يطلق الصيحات »^(١) .
 أكنت تستخلص من عطف « يسقط فى الوحل » على « يصيب » و « يضربه » أن فاعلها جميعا واحد هو الهودى ؟ ومع ذلك فإن الأصل الفرنسى يعبر على أن الذى يسقط فى الوحل هو الأعشى .
 والسرفى وقوع المترجم فى هذه العبارة المصطربة هو أنه ، حين تصرف فى الترجمة ، لم يحسن التصرف فاضطربت الصائغ واحتلظت فى يده ، إذ إن الأصل العرسى ، بعد أن يذكر أن هوفيه كان يصرب الأعشى ضربات عيفة ، يقول « وكان لسان السوط يلهب جراحه فسقط فى الوحل ... إلخ » .

كذلك فالمترجم بدل أن يقول ببساطة « وأرادت . أن يكون له عشون » أو « . أن يترك عشونه بيت » مثلا يجده يقول « وأرادت .. أن يطلق عشوناً فى ذقه »^(٢) ، وكأن العشون فأر حبيس ، وكأن ذقه حجرة يمكن أن نطلقه فيها كما أنه بدلا من أن يقول فى ترجمة " dans ces punelles égarées " « فى حدقتها الشاردنى أو الرائعتين » يقول « فى حدقتها الصائغتين »^(٣) وحين

(١) ١٠٨ / ٢ .

(٢) ١١٧ / ٢ و « العشون » هو اللحية الصعيرة الشابة على الذقن

(٣) ١٢٢ / ٢

يشكو تاجر الأقمشة المتحول من عجزه عن استرداد ديونه من مدينيه
 (وهذا هو النص الفرنسي : " On lui mangeait la laine sur le dos ")
 بأنهم ليأكلون الصوف من فوق ظهره^(١) ، وهي ترجمة حرفية ركيكة ، وكان يوسعه أن يستخدم
 العبارة الجارية : « يقصون ريشه » وانظر كذلك إلى هذا التعبير الذي
 لا يستقيم جزؤه المأخوذ تحت خط على متن العربية مهما نقله على
 هذا الجانب أو ذاك : « ولكيلا نخس في الليل ملاحقاً لجمعها بذلك
 الرجل الذي ينام متمذداً إلى جوارها »^(٢) ، وهو ترجمة للعبارة التالية :
 " pour ne pas avoir, la nuit , aupres d' elle , cet
 "Elle homme étendu qui dormait"
 souhaitait des amours de prince" فإنه يبتليها إلى العربية
 على النحو الركيك التالي : « وتتمنى غراميات أمير »^(٣) بدلا من
 « وتتمنى أن يمشقها أمير » أو « أن يقع في عرامها أمير » مثلا وهو
 يصف « الانفعالات » بأنها « شائعة »^(٤) (ترجمة لـ im-
 mences passions) ، فصلا عن أن معنى "passions" هو
 « عواطف » لا « انفعالات » . وهو يترجم "Elle se présenta

(١) ١٢٥ / ٢

(٢) ١٢٨ / ٢

(٣) نفس الجزء والصفحة .

(٤) ١٢٩ / ٢

« chez lui d'un air dégagé » ودخلت عنده في هيئة منطلقة ^(١) جامعا بذلك بين تهافت الأسلوب وعموض المعنى .
والترجمة الصحيحة أو القريبة من الصواب هي : « وعليها سيما الارتياح » مثلاً . كذلك فبدلاً من أن يقول : « إني سأطعمه على . »
(ترجمة للعبارة التالية : " Je lui montraï . " ، التي كررها التاجر مرتين وهو يلوح بورقة في يده مهدداً إما بأنه سيربها لزوجها) نراه قد ترجمها بـ : « إني سأطهر له ... إني سأطهر له .. » ^(٢) وحين يقول :
« كانت مطروحة على ظهرها » ^(٣) طن للتر ، ومعاً كل الحق ، أن شخصاً قد طرحها على ظهرها ، بينما الأمر ببساطة ، حينما جاء في الأصل الفرنسي ، هو أنها « كانت مستلقية على ظهرها : " couchée sur le dos " وربما كان السبب في هذا الخطأ هو أنه طن أن عليه أن يترجم اسم المفعول " couchée " باسم مفعول مثله مع أن اللمعات غير متواربة دائماً . أما حين تسأل الأم روليه عن الساعة فتجيب بأنها « Trois heurs , bientôt » فإنه يترجم ذلك بأنها « الثالثة عما قريب » ^(٤) بدلاً من « الثالثة تقريباً » أما قوله في

(١) ١٣٢ / ٢

(٢) ١٣٣ / ٢

(٣) ١٤٥ / ٢

(٤) نفس المورد صفحة

ترجمة " se raidissant contre l'émotion " : « شد نفسه
 ضد الانفعال » ^(١) فهو سرياني ، وكأنه لم يكن مستطاعاً ترجمته
 به « تماسك » أو « سيطر على مشاعره » أو « ضبط انفعالاته »
 أو « تماسك جأشه » ... إلخ ... إلخ !

وهذه بعد ليست إلا أمثلة . إلا أن الإصناف يقتضيا أن نقرر أن
 الترجمة بطبيعتها تقيّد حركة الكاتب وحرية . ويمكن تشبيه المترجم
 بالأحول الذي تظفر كل من عبيده في اتجاه مخالف : فمضى على
 الترجمة ، وعين تحاول العثور على اللفظ والتركيب والتعبير المناسب .
 إنه ، وهو يكتب ، لا يمتح من دهبه وحياله وعواطفه بل من دهن
 كاتب آخر لا يتمنى إلى لعمري ولا ثقافته ، ومن عواطف ذلك الكاتب
 وغيبالاته . وهذه كلها حواجر تحمل الترجمة أمراً مرهقاً . ولهذا
 السبب قلما نجد أسلوب الترجمة طبيعياً كأسلوب الكتابة الأصلية .
 والذي يراجع أسلوب يحيى حقي مثلاً في ترجمته لكتاب « القاهرة »
 لـديزموند ميتشوارت أو لسيرة إسكندر دوماس سوف يجده مختلفاً عن
 أسلوبه في كتاباته هو أما المرحوم إبراهيم الماربي ، الذي أنسى انعقاد ،
 طيب الله ثراه ، على عبقرية في الترجمة ، فقد أنشد د. نعمان فؤاد
 في كتابها أنه لم يكن يلتزم بالأصل المترجم تماماً ، بل كانت تسقط

منه أحيانا بعض الكلمات والعبارات ، كما كان يتصرف في عبارة الأصل حتى توافق الترجمة ذوقا العربى ^(١) ، ومن هنا جاء أسلوبه في الترجمة ناصعا عليه سيما الجزالة والحيوية التي تطبع أسلوبه العبقري المبدع . أقول هذا لكي أبين أننا لا ننتظر أن تكون مهمة المترجم ميسرة ، ولكن على من يصطلح بهذه المهمة أن يرهق نفسه قليلا وأن يتشكك في صياغته ويفتح دائما المعاجم التي يسمى أن يحيط بنفسه بها . وليس في هذا أية عصاضة ، فإن من يعرف لغة أجنبية لا يجد صعوبة في فهم ما يقرأ فهما واضحا ، إما المشكلة تبدأ حين يكون عليه أن ينقل ما فهمه إلى لته ، إذ إن عملية الفهم شيء ، والنقل شيء آخر . إما نفهم النص الأجنبي بعقلية اللغة التي كُتِبَ بها ، أما الترجمة فتحتاج عقلية أخرى هي عقلية اللغة التي سيتم النقل إليها . وإذا كان قد قبل عن كاتب القصة التي بين أيدينا إنه كان يعيد صياغة كثير من جملته وعباراته مرات ومرات رغم أنه لم يمكن بترجم بل بشيء ، فما بالناس ممن يترجم ؟

لقد أشرت إشارة عارصة إلى أنه كان يسقط من الأستاذ المارسي ، وهو يترجم بعض القصص الانجليزية ، أشياء من عبارة الأصل وأرد

(١) انظر د. نعمات أحمد فؤاد / إبراهيم عبد القادر المارسي / ٢٨٥ -

أن أشير بسرعة ها إلى أن هذه الملاحظة صادقة أيضاً على ترجمة « مدام بوفاري » للدكتور مدور . وأستطيع أن أعدد عشرات من الأمثلة على هذا ما بين كلمة وجملته طويلة . ترى هل من الممكن أن يكون د . مدور قد ترجم عن طبعة أخرى غير التي بين يديّ قد سقطت منها العبارات غير الموجودة في ترجمته ؟ ذلك أن في ترجمته بعض الكلمات التي لا يوجد ما يقابلها في طبعة الأصل التي في حوزتي ، وإن كنت أستبعد أن تكون هالك طبعة تعاني من كل هذا النقص

والآن ننتقل إلى الترجمة بعسها . وأحب أن يكون واضحاً منذ الآن أني لن أثبت أمام صحة الترجمة حين تكون صحيحة ، إذ إن ذلك هو أقل ما يَستَطر من الدكتور مدور ، الذي قصي قريبا من عشرة أعوام في فرنسا محلطاً احتلاطاً واسعاً بالحياة والثقافة الفرنسية كما يقول ، وبخاصة أن الترجمة نفسها في حالة صحتها ليست من الجودة بمكان . وفوق ذلك فهي تعاني من عيوب عدة ذكرت بعضها المتعلق بالصياغة العربية ، وهأندا أتت فاعرض لبعضها المتصل بفهم النص الفرنسي ذاته .

وقبل الشروع في هذا لا يعونني التنبيه إلى أن ترقيم الفصول في الترجمة لم يطرّد إلى نهاية الرواية : إن الفصول في الجزء الأول مرقمة ، وكذلك أول فصل في الجزء الثاني ، وهو الفصل التاسع من القسم

الثاني من الرواية ، أما بعد ذلك فيشار إلى بداية كل فصل بثلاثة نجوم ، مع أن هذه العلامة قد استخدمت في الجزء الأول لتقسيم الفصل الواحد إلى أجزاء . ولست أدري لِمَ لَمْ يَجْرِ المترجم على وتيرة واحدة والآن إلى الترجمة :

وأول ما يلفت النظر هو أسلوب منثور في ترجمته لأسماء الأعلام ، بلادا كانت أو أشخاصاً أو صحُفاً . إلخ . وهذه بعض ملاحظات سريعة في هذا الصدد . إنه يكتب اسم بطلة القصة هكذا : « إيمما » ، وهي طريقة تتعد عن الطق الصحيح لاسمها (Emma) ، الذي كان ينبغي أن يُكْتَب بالعربية على النحو التالي : « إِمّا » بحذف الياء وتشديد الميم . أما بعض أسماء الشخصيات التي أتى ذكرها عَرَصاً في الرواية فقد علّق عليها بما يوضحها للقارئ ، بيد أنه هنا أيضاً لم يسر على وتيرة مطردة . فمرة يكون التعليق في صلب النص كما في إصافته ، بعد اسم « بولانجيه » ، هذه العبارة : « مؤلف الأشعار الغنائية » ^(١) ، ومرة يرد في الهامش مثلما هو الحال مع اسم « أبقراط » ^(٢) . أما أسماء المدن فيعضها يُحْتَفَظ به كما هو مثل « برتو » و « لوبجفيل » و « سان فيكتور » ، وبعضها يُترجم نصفه إلى العربية ، مثل « أيونفيل - الدير » ، وذلك لأن فلوير قد شرح سرّ تسميتها بهذا

(١) ١٥ / ١

(٢) ٣٩ / ١

الاسم حين ذكرها لأول مرة . بيد أن فلوبيير لم يعد إلى ذلك مرة أخرى ، وكان ينبغي على الدكتور مدور أن يحذو حذوه ، فإن أسماء الأعلام لا تُترجم ، اللهم إلا إذا أراد المترجم لقارئه أن يلمح شيئا ذا دلالة خاصة في أحدها ، وحينئذ توضع الترجمة بين قوسين بعد إيراد الاسم كما هو . وقد فعل فلوبيير ذلك مع « يوفيل لاي » ، إذ ذكر بين قوسين سر تسميتها هكذا .

والطريف أن المترجم قد جرى في ترجمة أسماء المهلات على هذه الطريقة على رغم عدم الحاجة إليها ، إذ ما فائدة القارئ في أن يعرف أن ترجمة اسم محل « النروا هرير » هي « الإحوة الثلاثة » ، أو أن « البارز دور » (وهو اسم محل آخر) يعني « الدحية الذهبية » ، لو أن « الجران سولاح » هو « المتوحش الكبير »^(١) ، وبخاصة أن هذه المهلات لم يرد ذكرها إلا مرة واحدة عارضة ثم سبقت إلى الأبد ؟

أما ما يمكن الرأى فإن د . مدور قد أورد اسم صحيفة « لاكوربي » من غير ترجمة ، مع أنه قد شفع اسم مجلة « سيلف » بترجمته (هكذا : « حوريات الصالونات » . وهي ترجمة حاضرة لأكثر من اعتبار ، علاوة على أن اسم المجلة (أو الصحيفة) بالفرنسية هو « le sylphe des salons » ، أي « لو سيلف دي صالون » لا « سيلف فقط »

ويبقى من أسماء الأعلام اسم العربية ، التي تُمدّ في الحقيقة إحدى شخصيات القصة البارزة . وقد سماها د مندور « المصفورة » ، مع أن هذه الكلمة ليست الترجمة الصحيحة لاسمها الفرنسي (وهو " L' Hirondelle ") . وكان يستطيع أن يحتفظ بالاسم الفرنسي كما هو مع ترجمته حين يرد ذكره للمرة الأولى . أما الترجمة الدقيقة له فهي « عصفور الجنة » ، ذلك الطائر الذي يشق الهواء شفاً ، أما المصفور العادي فلا يرتبط اسمه بالسرعة ، التي ربما قصد تسمية العربية به للإيماء إليها . وقد تكون ترجمته بـ « الحمامة » أكثر ملاءمة لدوقا الذي يرى في ذلك الطائر رمزاً على السرعة الشديدة .

ويمكن تصنيف ما يؤخذ على الترجمة إلى ملاحظات على ترجمة بعض الكلمات أو الجمل خطأ ، وملاحظات على عدم الدقة في نقلها إلى العربية ، وملاحظات نالفة على المعجز عن إيجاد عبارة عربية تستطيع الاحتفاظ بالإحساسات التي تشع من العبارة الفرنسية ، وملاحظات أخيرة على تأدية عكس المعنى ، وإن كان هذا المأخذ الأخير جدياً قليل . وهذه بعض أمثلة على ما نقول .

فمثلاً يترجم د. مندور " Le médecin fut invité, par M. Rouault lui même, à prendre un morceau, avant de partir " هكذا « دعا مسيو رور الطبيب إلى بعض الطعام قبل رحيله » ^(١) ومن الواضح أن العبارة المأخوذ تحتها خط لا تؤدي إشاعات

نظيرتها الفرنسية . وقد كانت الترجمة تكون أحسن لو أنها صيغت على هذا النحو : « ... دُعِيَ الطبيب ، من قِبَل مسبور ورو نفسه ، إلى أن يأكل لقمة » قبل انصرافه . لقد كتب فلوبيير هذه العبارة بالحروف الماثلة ، وهو ما يقابل فتح علامتي تنصيص لاستقبال عبارة عامة مثلاً أردنا أن نؤديها كما سمعناها . وأطى أن فلوبيير قد هدف بهذه العبارة إلى الإيحاء بأن علاقة خاصة بين الطبيب وأُسرته مرصه قد شرعت تثبت في تلك اللحظة التي دعاه فيها هذا إلى أن « يأكل لقمة » قبل أن ينصرف .

أما في الصفحة التي تلى ذلك في الترجمة فإننا نقرأ هذه الجملة في وصف شعر إمانا وهي جالسة قبالة شارل تأكل معه اللقمة التي دُعِيَ إليها : « كانت رقبتها تظهر خلال ياقة مزدوجة ، وصغيرتاها السوداوان اللامعتان يبدوان ، لفرط نعومتها ، قطعة واحدة تشق إلى شحمتين عند منتصف الرأس بخط مستقيم يتبع استدارة الرأس ، ثم تعود الشحمتان إلى الالتقاء خلف الرأس في كمكة سمبكية تحدر منها غصلتان نحو الصدغ لا تكاد أدنا الفتاة تبينان خلالهما » . ونحن أن الأصل لا يقول هذا ، بل يجري الكلام فيه على النحو التالي : « وكان شعرها ، الذي تبدو صغيرتاها السوداوان كأن كلا منهما ، لفرط ملاستها ، قطعة واحدة تشقه في منتصف الرأس فرقة رقيقة . إلخ » فليست الصغيرتان هما اللتين يبدوان كأنهما قطعة واحدة ، بل كل

صغيرة على حدة هي التي تبدو كذلك . وليست تلك القطعة الواحدة هي التي تمشق إلى شُعَبَيْن (أية شعبتين يا ترى ؟ وهل كلمة « شعبة » ، حتى إذ صح أن الترجمة قد أدت المعنى ، تناسب السياق ؟) ، بل إن شعر الرأس كله هو الذي يوصف بأنه مفروق من الوسط ... إلخ .

وحين يطلب شارل من مسيو رورو بد ابته راء ، حسب الترجمة ، يردّ عليه بقوله : « إني شخصاً لا أنمى أفعل منك » (الترجمة إلى هنا مقبولة) ، ولكن للبينة رأبها (هنا الحلاف) ولا بد من سؤالها ^(١) . والحقيقة أن حملاً المستقل لم يصدر عنه ما تحت خط ، بل نص عبارته هو : " Quoique sans doute la petite soit de mon idée , il faut pourtant lui demander son avis " وترجمتها هي : « وبرغم أنني لا بحالحي شك في أن موقف البنية هو نفس موقفى فيسمى مع ذلك أحد رأبها » .

كذلك يترجم مدور الحملة التالية التي تصف موكب عُرْس بين الحقول : " Et, en prêtant l'oreille , on entendait tout le jour le crincrin du ménétrier qui continuait à jouer dans la campagne " وكانت أسام العازف الذي واصل

المعزف خلال الحقول تملؤ إذا ما جنحوا إلى الصمت»^(١). فإذا عرفنا أن " le ménétrier " هو الكمان الرديء ، وأن " le cinnecin " هو « عارف كمان أو شبابة فى القرى للرقص » لم يكن من الصعب معرفة أن فلوبيير يسخر من المعازف وعزفه ، وأن الترجمة ربما كانت أقرب إلى الصواب لو جاءت على النحو الآتى : « وحسب كانوا يرهفون آذانهم كانوا يسمعون دائما كمانجة الكمانجاني الماضى فى العرف خلال الحقول » .

ولا شك أن مندور قد يحس التمييز الفرسى التالى " en arabesque de nonpareille " حقه حين أداء هكذا . « فى زخرفة عربية جميلة »^(٢) ، فإن « جميلة » نقلت عن "nonpareille" كثيرا ، إذ هذه تسمى « فريدة / لا نظير لها .. إلخ »

والآن إلى هذه الجملة " La première n'était point meublée " التى تتحدث عن حجرة خالية تماما من الأثاث ، والتى يترجمها مندور مع ذلك بقوله : « فإذا بأول حجراته تكاد تكون خالية من الأثاث تقريبا » ، وهو ما يجمع بين خطأ الترجمة واتهام لفصحة « تقريبا » بلا داع ، إذ إن الفعل « تكاد » يكفى . والشئ ذاته يقال

" Elle songeait quelquefois que : عن هذه الجملة : " Elle songeait quelquefois que : " c'étaient là pourtant les plus beaux jours de sa vie " ترجمها بقوله : « على أنها كانت تحال أحيانا أن الأيام المقبلة هي أجمل أيام حياتها » ^(١) ، بينما الترجمة الصحيحة ، فيما أظن ، هي « .. أن تلك الأيام ، مع ذلك ، هي أجمل أيام حياتها » (« تلك الأيام » لا « الأيام المقبلة » ، علاوة على أنه قد أهمل ترجمة « مع ذلك ») .

على أنسى أفدّر أن ترجمة " des rince - bouche " بـ « سلاطين تُمَلَأ بالماء لتُعْمَسَ فيها الأصابع بعد تناول الحلوى » ^(٢) كانت سهوا مضحكا منه ، إذ إنه ، فيما يبدو ، حين فتح المعجم لبحث عن معنى هذه الكلمة انقطعت عنه سهوا معنى الكلمة التي نلها ، وهي ' des rince - doigts ' .

ومرة أخرى تحتل الضمائر على مندور كما في هذا المثال
" Elle lui appelait, en manière de souvenirs, ses peines et ses sacrifices , et les comparant aux négligences d' Emma, concluait qu'il n'était point rai-

١٩ / ١ (١)

٥١ / ١ (٢)

إد ، sonnabile de l'adorer d'une façon si exclusive " يترجم الجملة على النحو التالي : « وكانت تروى له مشقاتها وتصحياتها على سبيل الذكرى ، وتقارنها بإعمال إنا عسى أن يستنج أن ليس من الحكمة أن يعبد السيدة الشابة .. إلخ » ، مع أنها هي التي تنتهى ، من خلال المقارنة ، إلى هذه النتيجة . ثم إنها لا تأمل أن يستنج أبها هذا ، بل هي التي تقرر له ذلك

وفى أول جملة فى الفصل الثامن تجده قد تصرف فى تركيب العبارة تصرفاً غير حميد ، فهو يقول « كان القصر مبيا على الطرار الإيطالى الحديث ، يمتد منه حاحان ، وله ثلاثة مداحل تمضى إلى شرفات ذات درحات . وكان يقوم فى نهاية مرج واسع . . إلخ » (١) ، أما النص فيقول ما معناه « كان القصر المبني على الطرار الإيطالى بجناحيه البارزين ومداحله الدَّرَجِيَّة بنسب عند أسفل مرج واسع إلخ » ، أى أنه قد فتت الجملة الواحدة إلى عدة جمل من غير أن يكون هناك سبب واضح . إن المترجم قد يَصْطَرِّحُ إلى مثل هذا لو تمسَّر عليه أن يصمم أطراف الجملة فى حيط واحد ، أما هنا فإن طول الجملة وتركيبها معقولان جداً . وبعد ذلك بأسطر معدودة تجده يترجم des " bâtiments à toit de chaume " بـ « مبانٍ ممروشة بالقش » .

وهو ما يؤدي معنى معابرا تماما ، إذ الكلام هنا عن « ميان مسقوفة بالقش » ، وشتان بين الأمرين . وبالمثل فإن عبارة « وكان سرواله يضغط على بطنه » تتحول في الترجمة إلى « بينما كان شارل يشد بنطلونه إلى وسطه ... » (١) .

" Quand les mareyeurs, dans leurs charrettes, passaient sous ses fenêtres en chantant, tant la Marjolaine, elle s'éveillait " السمك يمحرون في الليل تحت نوافذ الدار وهم يرددون أناشيدهم ، فكانت تستيقظ من نومها ، ولن أقف هنا عند تركيب الجملة الذي قدّم فيه وأحرّ بدون مسوع ، ولكنني أشير فقط إلى أن الـ mareyeurs " هم « تجار السمك » لا « الصيادون » ، وأن المترجم كان حليقا أن يرناب في ترجمته لو أنه تبه إلى شبه جملة dans leurs charrettes ، فإن غناء الصيادين مرتبط عادة بالقوارب والبحر وحرّ الشاعرى لا المربات الحشبية التي تقعقع عجلاتها على بلاط الشوارع. كذلك فإن ترجمة la Marjolaine بـ « الأناشيد » تبدو لى غير مقنعة وأظن ، والله أعلم ، أن هذه أعتية كانت شائعة فى ذلك الوقت وليست نشيدا ، بله أناشيد .

كذلك نراه يترجم "favoris noirs" بـ « شاريان أسودان »^(١).
ولا أدري كيف يكون للشخص الواحد شاريان إلا أن يكون المقصود
طرفي الشارب . إن الحديث هنا عن وجه ذى " favoris noirs " ،
والترجمة الصحيحة هي « عذاران أسودان » . والعذار ، كما نعرف ،
هو ما يبت على صفحة اللحد .

أما الخطأ التالي فهو ليس بالخطأ الهين ، ولا أعرف لمترجم فيه
عذراً . إن الصيدلي يتحدث إلى صاحبة البرل مستقداً بيسه الصموت
ومنتهما لياه بالافتقار إلى الحيال والفكاهة ، فتعرض عليه قائلة : « ومع
ذلك فهم يقولون إن عنده مواهب (Il a des moyens) » ،
فيستأهل الصيدلي مستكراً : « مواهب ؟ مواهب ؟ فى مهنته ، هذا
ممك (Dans sa partie c'est possible) » . بيد أن مندور قد
ترجمها هكذا : « ومع ذلك فإنهم يقولون إن له أصدقاء ومجالس » ،
« مجالس ! . مجالس ! . من المحتمل أن تكون على شاكلته ! »^(٢)

وحين يؤكد هذا الصيدلي أن الإنسان غير محتاج فى عادته لله
إلى الذهاب إلى الكنيسة ليقبل الأواني ويدفع من حيبه لنفسه ، ثم
يعقب قائلاً " Car on peut l'honorer aussi bien dans
un bois " يترجم مندور هذه العبارة قائلاً : « إن المرء ليستطيع أن

(١) ٧٥ / ١

(٢) ٨٧ / ١

يَتَكَدَّى إِلَى اللَّهِ فِي غَايَةِ ...^(١) . والصواب هو : « إن المرء ليستطيع
 أَنْ يَمِيدَ اللَّهَ .. إلخ » . كما أنه يترجم هنا أيضا وصف الصيدلي
 لِلنُّفْسِ بِأَنَّهُمْ " un tas de farceurs " بـ « رجالا لا يصلحون
 لشيء ، ولا نفع منهم » ، وهو حشو وتطويع لا داعي له ، فوق
 أنه خطأ ، إذ المعنى هو : « حشد من المهرجين » . أما وصف آل توفاش
 بِأَنَّهُمْ " faisait beaucoup d'embarras " فيترجمه إلى « كما
 كان آل توفاش في أفحش مظهر »^(٢) ، وهو كلام بعيد عن الصواب ،
 والصحيح هو « ثم إن عندك آل توفاش ! أليس طالعين فيها قوى » ،
 أى المتعرجين الكثيرى الادعاء .

وبعد لمأنى صفحات نخذ هذه العبارة عن الصيدلي (الصيدلي
 الذى يكره القساسة وسحر منهم دائما) . « وكان يسرح مع الخيال
 إذا ما قرأ فقرات بديعة ، ولكنه كان يهشم إذا تذكر أن أهل الجحون
 والمهرجين قد يستغلونها فى ألاعيهم على الغير »^(٣) . والواقع أنه لا
 ذكر لها لمهرجين ولا يحزنون ، بل الكلمة هى " les calotins " ،
 وهى لفظ تحقير للنفس أو أشياعهم . وها هى دى الترجمة
 الصحيحة للعبارة : « إذا ما خطر له أن القساسة سوف يصيغونها

(١) ١ / ٨٨ .

(٢) ١ / ٩٤ .

(٣) ١ / ١٠٢ .

ليضا للمهم . - وحين يقوم ليون بينه وبين نفسه شخصية روجة الصيدلى فيرى أن فيها برعم طيتها من المبوب ما لا يتصور معه أنها لا تصلح قط زوجة لأحد ، يؤدى المترجم هذا على النحو السالى . . . حتى ما كان أحد ليتصور أنها تصلح زوجة لعير الصيدلى ^(١) . والحقيقة أن معظم المقررة التى وردت فيها هذه الجملة يسودها الاضطراب فى فهم المعنى وفى ترتيب الجمل . ولمن شاء أن يقابل بين النص الأسمى ^(٢) والترجمة .

وبالنسبة للعبارة التالية : " Puis, quand il s'était posé à sa place contre la table, entre les deux époux... " مدور يترجمها بقوله : « فإذا اتحد مجلسه إلى مائدة الزوجين . . » ^(٣) ولا شك أنك تستطيع أن تلاحظ بمسك عدم الدقة فى الترجمة ، إذ النص يقول إن الصيدلى كان ، عندما يجلس فى مكانه إلى المائدة بين الزوجين ، ... إلخ .

ومن الخطأ ترجمة الـ " nouveautés " بـ « الكماليات » ^(٤) ، إذ ترجمتها الصحريحة « الجديد من الأزياء » كذلك فإن ترجمة

(١) ١٠٨ / ١

(2) p. 64

(٣) ١٠٩ / ١

(٤) ١١٥ / ١

" nez droit " بـ " أنف أفتى " مجانبة للمصواب ، لأن " الأنف
 الأفتى " هو الذى ارتفع أعلاه ، واحدودب وسطه ، وصاق منحراه .
 أما " droit " معناها " مستقيم " . ومثل ذلك فى الخطي ترجمه
 " hirondelles " بـ " بعض الطيور " ^(١) ، فالطيور أنواعها بالآلاف ،
 فأى الطيور يقصد يا ترى ؟ ولم لم يقل : " عصافير الجنة " ؟ كذلك
 ترجم " un acacia " بـ " شجرة ليخ " ^(٢) ، وهو خطأ . وللمرة
 الثانية أيضاً براه يترجم " farceurs " بعير معناها ، وإن جعلها هذه
 المرة " كلابا " ، وباد فوصفها بين قوسين ! ^(٣) وهو يترجم
 " harpes " بـ " الأعواد " ^(٤) ، كما أن " صندوق الدخائر
 المقدمة : un reliquaire " ينقلب على سن قلمه إلى " أيقونة " ^(٥) ،
 و " السرداب un souterrain " إلى " تابوت " ^(٦) ، و " الميدان .
 la place " إلى " شاطئ " ^(٧) وهو يجعل الجملة الدعائية التالية
 " Dieu nous protège " حيرا ، مترجما لهاها هكذا : " إن عاية
 الله ترعانا " ^(٨) .

وبعد عشر صفحات نقرأ الكلام التالى : " ولم تدر هل تندم
 لاستسلامها له أم عى العكس تأمل فى أن تزيد حبا ، وهل يقلب

(١) ١٢٣ / ١ (٢) ١٣٢ / ١

(٣) نفس الجزء والصحة . (٤) ٥٩ / ٢

(٥) ٦٠ / ٢ (٦) ٦١ / ٢

(٧) ٦٨ / ٢ (٨) ١١ / ٢

المصنار الذى أحسته لضعفها إلى حقد لا تطفئ ناره اللذات ؟ ،
بينما كان ينبغي أن تكون الترجمة هكذا : « ولم تكن تدرى أسمى
نادمة على استسلامها له أم على العكس تسمى أن تحبه أكثر . لقد
كانت مَذَكَّةُ شعورها بالضعف تنقلب إلى حقدٍ يطفئ به ما تناله من
ملذات » ، وبأله من فرق بين الترجمتين !

ومندور ، بلا ريب ، لم يكن موقفا حين ترجم إلى العربية هذه
الجملة الإنجليزية التالية " That is the question " ، التى طمَّ
بها الصيدلى حديثه مع الطبيب تحذلقاً لقد كان يبنى عليه أن
يلدجها كما هى فى صلب الحوار ثم يترجمها بعد ذلك فى الهامش
حتى لا يموت القارئ ما قصده فلوبيير من إجرائها على لسان
الصيدلى ، وهو ما فعله (حسيما أذكر) د شكري عياد فى ترجمته
لرواية « دحان » لترجنيف ، إذ أنقى التعبيرات والجمل الفرنسية التى
كان يتحدث بها بعض شخصيات الرواية كما هى مع إيراد ترجمتها
فى الهامش ، وكان يسمى على د مندور أن يفعل نفسه الشيء .

وترجم مندور العبارة التالية " Et les chasseurs partirent "
بـ « واستأنف الصيادون غناءهم »^(١) ، ولا أدري لماذا كذلك ترجم
عبارة : " Indécis entre la franchise de son plaisir et le "

(١) ٦٩ / ٢ . والصواب : « بدأ الصيادون »

respect qu'il portait aux opinions de sa femme" نحو التالي : « وهو يتأرجح بين حيثته الواضحة والاحترام الذي يحمله لآراء زوجته » ، بينما صواب ما تحته خط هو « سروره الواضح الصريح »^(١) .

وهو يأتي بالترجمة التالية : « وكان ورق الحائط الأصفر يتلون من خلفها بأرضية مذهبة »^(٢) في مقابل "Le papier jaune de la muraille faisait comme un fond d'or derrière eile" ، مع أن الصواب هو « وكان ورق الحائط الأصفر يبدو من روائها كأنه خلفية مذهبة » .

أما هذه الجملة : se ... puis s'étant fait défriser , frisa, pour donner à sa chevelure plus d'élégance naturelle فقد عكس معناها ، إذ قال : « ... ثم جمّد شعره ، وعاد فأقبله . إلخ »^(٣) ، بينما الصواب « ثم بعد أن أرال تجمّد شعره عاد صمّده . . . »

هناك غلطة طريفة وقع فيها د مندور إذ وردت (في جملة

(١) ٧٣ / ٢

(٢) ٧٦ / ٢

(٣) ٨٠ / ٢

تحدثت عن إما وهي تصف شعرها عند أحد مصفى الشعر (هاتان الكلمتان : " odeur des fers " ، فترجمهما بـ « رائحة الحدائد » ، مع أن الكلام عن رائحة مكاري الشعر . ومطابقة هذه الغلظة أن الدكتور مندور نفسه كان قد نقد الشاعر على محمود طه نقداً لاذعاً لترجمته كلمة فرنسية في صيغة الجمع بنفس المعنى الذى لها فى صيغة المفرد ، وهى كلمة « enfers »^(١) ، ثم ها هو ذا الدكتور مندور يقع فى غلظة مشابهة .

وبعد ، فهذه أمثلة فحسب من الأخطاء الكثيرة والمتنوعة التى تملى بها ترجمة د. محمد مندور لرواية الأديب الفرنسى جوستاف فلوير « مدام بوفارى » . وإذا كان الأمر كذلك فكيف واثت المسؤولين فى دار الهلال أنفسهم على وصف تلك الترجمة بأنها « ترجمة كاملة ودقيقة »^(٢) ؟ الواقع الذى لا سبيل إلى الارتياح فيه هو أن هذا الكلام لا يعدو أن يكون حكما مرسلًا ليس له أساس من المقارنة بين النص الفرنسى ونظيره العربى . إننا جميعا معرضون للوقوع فى الخطأ

(١) انظر د. محمد مندور / فى اليزان الجديد / ٣٢ . وفى معجم « المنهل » للدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل إدريس أن « Les Enfers » هى « مقر نفوس الموتى » فى الأساطير . أما على محمود طه فقد ترجمها ، كما قال د. مندور ، بـ « الجحيم » .

(٢) انظر كلمة دار الهلال على ظهر غلاف الترجمة .

سهولاً فيما نؤلف أو نترجم من كتب ، بيد أن تلك الكثرة الهائلة من الأخطاء هي مما تتجاوز مقدرة الضمير العلمي على الاحتمال ، وأشد من ذلك إغراقاً في التجاوز هذا الحكم الذي أصدرته دار الهلال المبرقة على الترجمة . إنه ببساطة حكم مضلل وغير مسؤول (١) ، والله يتولانا بفضلہ ورحمته .

وهناك نقطة أخيرة ، وهي أن مندور ، في حديثه مع فؤاد دوار ، قد ذكر أنه زار كنيسة مدينة روان ، التي ورد ذكرها في بعض أعمال فلوير وكذلك الدار الريفية التي اعتزل فيها هذا الأديب الفرنسي قريباً من تلك المدينة ليكتب « مدام بوفاري » والتي أحس هو عند مشاهدته لها بأنه « أمام معبد رهيب » على حد تعبيره ، وأن هذه الزيارة قد حولت ما كتبه فلوير عن تلك الكنيسة « إلى حقائق حية نابضة موحية » (٢) . لكن ها هي ذي ترجمته لرواية « مدام بوفاري » تدل

(١) سبق أن تناولت بسرعة تقويم هذه الترجمة وحكم دار الهلال عليها في كتابي « افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة تسرين على الإسلام والمسلمين - دراسة نقدية لرواية العار » (مكتبة زهراء الشرق / ١٩٩٦م / ١١٦ - ١١٧) . ويجد القارئ قبل ذلك ويعدده رأيي في عدد من الترجمات المختلفة (ومنها ترجمات قرآنية إنجليزية وفرنسية) وفي الحكم عليها بهذه الطريقة غير العلمية .

(٢) انظر فؤاد دوار / عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٢ .

على أن مثل هذا الكلام هو مجرد دعوى عريضة يناقضها الواقع ، إذ قد تبين لنا فيما مر من صفحات أن فهمه لفلوبيير وروايته وإحساسه بها معييان أشد العيب . وهذا الادعاء المريض يذكّرنا بما قاله عن زيارته لبعض جزر اليونان ونشره الروح الهلينية من مجرد رؤيته بعض الأحجار هناك ، وهى الزيارة التى خرج فيها على قواعد البعثات وجرت إلى الصدام دون وجه حق مع المسؤولين فى مكتب البعثات المصرى بباريس .

الفهرس

- ٥ المقدمة
- ٧ بحثة مندور بين الحقيقة والأوهام
- اتهام مندور بسرقة كتابه : « نماذج بشرية »
- ٦١ « محاضرات عن إبراهيم المازنى »
- ١١٧ تقريم ترجمة مندور لـ « مدام بوفارى »